شبهات المستشرقين حول سورتي الفيل وقريش والرد عليها

دراسة تحليلية نقدية

د/ عبد المحسن جمعة عبد الحميد
مدرس التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين بالقاهرة

شبهات المستشرقين حول سورتي الفيل وقريش والرد عليها، دراسة تحليلية نقدية

عبد المحسن جمعة عبد الحميد، قسم التفسير وعلوم القرآن ، أصول الدين ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني : AbdulMohsenadjacent.2011@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

يناقش هذا البحث ما كتبه المفسرون وبعض المستشرقين حول سورتين من القرآن الكريم (الفيل ، قريش)، وقد تمحورت كتابات هذه الطائفة من المستشرقين حول: إنكار حادثة فيل أبرهة ، وتوجيه السورة إلى الحديث عن معركة القادسية (١٦ هـ) ، وكون السورتين ذواتا خلفية توراتية . بل تأثُّر القرآن الكريم نفسه بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . إضافة إلى كونه مشتملا على ألفاظ سريانية، آرامية ، فارسية ، ولغات أخرى . مع عدم خلوه من الأخطاء النحوية.

علاوة على اتهام الصحابة بزيادة نصوص في القرآن الكريم ليست منه . وخطأ المسلمين قاطبة في نطق ألفاظ قرآنية ، وتصحيح بعض المستشرقين هذا الخطأ. وأن رحلة الشتاء والصيف في سورة "قريش" مأخوذة من العهد الجديد ، والمراد برب البيت " الكعبة" ليس هو الله تعالى .

وقد قمت بالمناقشة والرد على ذلك في موضعه ؛ مستخدما المنهج التحليلي النقدي.

وقد توصلت إلى نتائج أهمها : هشاشة الشبهات والافتراءات التي يثيرها المستشرقون فيما يتعلق بالقرآن وتفسيره، إهمال كثير من المستشرقين الرجوع إلى

المصادر العربية والإسلامية غالبا، بناء أحكامهم على فرضيات تخمينية لا على أدلة عقلية أو نقلية.

الكلمات المفتاحية :

شبهات ، سورتي ، *" الفيل ، قريش"* ، المستشرقين . تحليلي ، نقدي .

Interpreting *the "Journey of winter and summer"* in Surah Quraysh as derived from the New Testament and asserting that *"the Lord of this House" "Ka'aba"* does not refer to Allah (SWT).

In response, this paper critically analyzes these claims using a methodological and analytical approach. The study concludes that the doubts and allegations raised by the Orientalists regarding the Qur'an and its interpretation are unfounded and speculative. It highlights that many Orientalists often neglect to refer to Arabic and Islamic sources, and their judgments are based on conjectural assumptions rather than rational or scriptural evidence.

Key Words:

Allegations, Two Surahs, *Al-Fil, Quraysh*, Orientalists, Analytical, Critical.

Orientalists Allegations Regarding the Surahs "Al-Fil and Quraysh" and Their Refutation: An Analytical and Critical Study

Abdul Mohsen Gomaa Abdul Hamid

Interpretation and Qur'an Sciences Department, Faculty of Usoul-Uddin, Al Azhar University, Cairo, Egypt

AbdulMohsenadjacent.2011@azhar.edu.eg Mail:

Abstract:

This research paper discusses the writings of Islamic commentators and some Orientalists on two chapters of the Holy Qur'an, namely Surah Al-Fil and Surah Quraysh. The Orientalists' interpretations focus on several key points:

Denial of the incident of the Elephant of Abraha, instead interpreting the chapter as referring to *the "Battle of al-Qadisiyyah"* (16 AH).

Suggesting that these chapters have a biblical background and that the Qur'an itself was influenced by the Bible, both the Old and New Testaments.

Claiming the presence of Syriac, Aramaic, Persian and other foreign words in the Qur'an, along with grammatical errors.

Asserting that Muslim as a whole have mispronounced Qur'anic words, with some Orientalists offering corrections.

المقدمة

الحمد لله الذي أخرجنا بالقرآن من الظلمات إلى النور ، والصلاة والسلام على البشير النذير ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ...

فقد سلك المستشرقون شتى المسالك للطعن في القرآن الكريم ؛ وكانت مطاعنهم إما بنسبته إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم تارة، أو أن يد العبث و التحريف طالته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على يد أصحابه، أو ادعاء كونه مقتبسا مما سبق من كتب منزلة ، و محاولة سلبه أهم صفاته وهي الإعجاز.

و حينما ننظر في مطاعن المستشرقين في القران الكريم نجدها من الضعف بمكان حيث إنها تتسم بالمبالغة في الشك و كثرة الافتراضات، والاعتماد على الضعيف من الآراء، والشاذ من القراءات، والمتشابه من الآيات.

والسبب في ذلك عدم تعاملهم مع نصوص القران الكريم كموضوع علمي تجري عليه قواعد المنهج العلمي، بل تعاملوا معه على أنه متُّهم، وهم يمثلون دور المدعِي الذي يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يمثل دور المحامي الذي لديه قناعة بإجرام موكله، فهو فقط يطلب له في فتور اعتبار الأسباب المخففة للحكم عليه.[1]

هذا وقد اخترت من جملة تلك الشبهات ما كتبوه حول سورتي " الفيل، وقريش"، ومدى ما فيه من تجنٍّ، وافتئات على كتاب الله تعالى، مع بيان الرد على تلك الشبهات .

وقد ضُمِّن البحثُ مقدمة، وتمهيداً، و مبحثين، وخاتمة .

و يشتمل التمهيد على : سبب اختيار الموضوع ، وإشكاليته، ثم فرضية البحث، و منهج الدراسة فيه .

[1]) ينظر آراء المستشرقين الفرنسيين في القران الكريم ، للدكتور أحمد نصري، ص ٥ بتصرف.

التمهيد:

عناصر البحث:

المبحث الأول : شبهات المستشرقين حول سورة الفيل والرد عليها .

المبحث الثاني : شبهات المستشرقين حول سورة قريش والرد عليها .

الخاتمة .

أما عن سبب اختيار الموضوع: فقد وجدت جرأة عجيبة من بعض المستشرقين في التجنّي والافتراء على القرآن الكريم، دون سند عقلي أو نقلي لهم في ذلك. ومن أبرز هؤلاء: " ألفريد لويس دو بريمير"[١] و "باول نيو إنكيرشين[٢]

١) ألفريد لويس دو بريمير (١٩٣٠م – ٢٠٠٦ م) مستشرق فرنسي ، من مواليد فرنسا ، انتقل في طفولته إلى المغرب مع والده ، تعلم فيها العربية ، درَسَ في جامعة محمد الخامس في الرباط ، التحق بالرهبنة الفرنسيسكانية ودرس الفلسفة واللاهوت . وعيِّن أستاذا في جامعة بروفانس ايكس ، مرسيليا .أهم مؤلفاته : تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ .في أصول القرآن ؛ مسائل الأمس ومقاربات اليوم . فيلة القادسية . أراد أن يهدم المعبد . الترجمة من موقع . GOOD READS.COM

٢) باول نيو إنكيرشن ، باحث معاصر في جامعة " بيرن" في سويسرا ، متخصص في مقارنة الأديان واللاهوت. كان عنوان رسالته للماجستير : استكشاف الطرق المختلفة التي فهم بها المفسرون المسلمون الأوائل الآيتين الأخيرتين من سورة البروج ، والواقعة آية ٧٧ –٧٩ ، وقدم فيها تفسيره الخاص لهذه الآيات . وكانت أطروحته للدكتوراة بعنوان : نهاية العالم في القرآن . وهو الآن في دراساته ما بعد الدكتوراة .

هذه الترجمة مأخوذة من موقع معهد اللاهوت بجامعة بيرن ، سويسرا . ساهم في كتاب قرآن المؤرخين في الجزء الثالث بتفسير السور من الواقعة إلى الناس.

إشكالية البحث :

- هل سورة الفيل في شأن قصة أبرهة أم في غيرها ؟
- هل الطير الأبابيل حقيقة أم أسطورة ؟
- هل الآية الأخيرة لها علاقة بالسورة أم منفصلة عنها ؟
- هل سورة الفيل وقريش سورة واحدة أم سورتان ؟
- هل في سورة قريش مخالفة لقواعد النحو ؟
- هل حذف من سورة قريش كلام كان فيه إساءة لقبيلة قريش ؟
- هل رحلة الشتاء والصيف في سورة قريش هي نفسها التي في سفر أعمال الرسل ؟
- هل للسورتين علاقة ما بالعهد القديم ؟
- هل يعتمد المستشرقون على المصادر العربية والإسلامية عند دراسة القرآن؟

فرضية البحث :

- سورة الفيل في شأن قصة أبرهة وليست في غيرها .
- الطير الأبابيل حقيقة ليست أسطورة .
- الآية الأخيرة من سورة الفيل جزء أصيل من السورة غير منفصلة عنها.
- سورة الفيل وقريش سورتان منفصلتان وليستا سورة واحدة.
- ليس في سورة قريش مخالفة لقواعد النحو .
- لم يحذف من سورة قريش كلام كان فيه إساءة لقبيلة قريش .
- رحلة الشتاء والصيف في سورة قريشلا علاقة لها بالرحلة التي في سفر أعمال الرسل من قريب أو بعيد.
- لا علاقة لسورة الفيل وقريش بالعهدين القديم والجديد.

- كثير من المستشرقين يهملون الاعتماد على المصادر العربية والإسلامية عند دراسة القرآن.

المنهج المتبع في البحث :

استخدمت في البحث المنهج التحليلي النقدي

المبحث الأول

شبهات المستشرقين حول سورة الفيل والرد عليها

المطلب الأول : التعريف بالسورة الكريمة من حيث:

اسم السورة ، زمان نزولها عدد آياتها ، موضوعها ، مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها .

أولا : اسم السورة

اسم السورة في المصاحف ، وكتب التفسير " **سورة الفيل** " وقد ذكرها الزركشي[١]، والسيوطي[٢] بهذا الاسم، وسماها بعض السلف سورة " ألم تر " [٣].

فعن عمرو بن ميمون الأودي[٤] قال: " صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ في الأولى ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، وفي الثانية ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ و ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾"[٥]

ثانيا : زمان نزول السورة .

السورة مكية بالإجماع ، فهي مما نزل على النبي ﷺ قبل الهجرة[٦] .

[١]) البرهان في علوم القرآن (١٩٣/١) النوع التاسع .

[٢]) الإتقان (٢٢٣/١) النوع الثامن عشر، و(٢٢٨/١) النوع التاسع عشر .

[٣]) التحرير والتنوير ٥٤٣/٣٠ .

[٤]) عمرو بن ميمون الأودي، أبو عبد الله الكوفي، أسلم في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– ولم يلقه، كان ثقة عابداً كثير الحج، توفي سنة ٧٤ هـ. انظر: "الكاشف" ٢/ ٨٩، و"تهذيب التهذيب" ٣٠٧ – ٣٠٨.

[٥]) لم أقف على هذا الأثر مسندا، لكن أورده الثعلبي والقرطبي كلٌ في تفسيره ، ينظر الكشف والبيان ٣٠٠/١٠ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٠٠/٢٠ . وقد ترجم لها البخاري بـ سورة (ألم تر) . صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ١٧٧/٦ .

[٦]) أورد البيهقي أثرا عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن ذكرا فيه السور التي نزلت بمكة والسور التي نزلت بالمدينة ، فيه سورة الفيل مما نزل بمكة وترتيبها التاسعة عشرة بين

ثالثا : عدد آياتها: خمس آيات بلا خلاف ، وتدور فاصلتهاعلى حرف اللام .

رابعا : موضوعها

ذِكر ما كان من شأن أصحاب الفيل الذين هم جند من الحبشة أميرهم أبرهة بن الصباح أبو يكسوم – وقيل غيره – غزوا الكعبة، وقصدوا تخريبها وهدمها[١]، وبيان ما حلّ بهم من هلاك ذكرته السورة .

خامسا : **مناسبة السورة لما قبلها .**

لما أشير في سورة الهمزة إلى تضمن الهمز واللمز من الكفرة نوع كيد له عليه الصلاة والسلام ؛ عقّب ذلك بقصة أصحاب الفيل للإشارة إلى أن عقبى كيدهم في الدنيا تدميرهم فإن عناية الله عز وجل برسوله □ أقوى وأتم من عنايته سبحانه بالبيت، فالسورة إشارة إلى مآلهم في الدنيا إثر بيان مآلهم في الأخرى[٢] .

وقال الإمام المراغي رحمه الله " بيَّن المولى سبحانه في سورة الهمزة أن المال لا يُغني من الله شيئًا، وهنا أقام الدليل على ذلك بقصص أصحاب الفيل "[٣]

أما ما مناسبتها لما بعدها – سورة قريش– فأمر في غاية الظهور حتى عدهما البعض سورة واحدة ، فالصلة بينهما كصلة السبب بالمسبَّب ، فكأن الله تعالى فعل ما فعل بأصحاب الفيل لأجل إيلاف قريش.

السور المكية وقبلها سورة الكافرون وبعدها سورة الفلق .دلائل النبوة للبيهقي، باب ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة ١٤٢/٧، وأورده عنه السيوطي في الإتقان في النوع الأول (٤٠/١).

١) تفسير السمعاني (٢٨٣/٦) .

٢) الآلوسي (١٥/ ٤٦٤) .

٣) تفسير المراغي (٢٤١/٣٠).

المطلب الثاني : هل سورة الفيل في شأن قصة أبرهة أم في غيرها كما يدعي بعض المستشرقين ؟

على غير عادة كثير من المستشرقين يرى " ألفريد لويس دو بريمير " أن السورة ليست في شأن قصة جيش أبرهة الحبشي، لكنها في رأيه :

أ) تشير إلى معركة القادسية التي كانت بين المسلمين والفرس في العراق سنة ١٦هـ ، (أي بعد وفاة الرسول □ بنحو ست سنين) .

يقول " دو بريمير" : " إن أقوى فرضية يمكننا تقديمها هي معركة القادسية الحاسمة عام ٦٣٧ م ، وليس حملة أبرهة المفترضة التي نعرفها فقط من خلال أسباب النزول ، والتي يجب اعتبارها أسطورة محضة " اهـ [١]

ب) أو أنها تشير إلى قصة اضطهاد الملك بطليموس الرابع اليهودَ (قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام)، فالسورة بهذا ذات خلفية توراتية.[٢]

ويبني " دو بريمير" هاتين الفرضيتين على أنه ليس في القرآن مايدل على حملة أبرهة وجيشه تجاه الكعبة .

ويهدف " دو بريمير" –ومن يرى رأيه من المستشرقين وغيرهم– من وراء ذلك إلى إعادة النظر في النص القرآني كنص مقدس ، وصولا إلى جعله نصا بشريا يجري

[١]) ذكر " دو بريمير " ذلك في مقال بعنوان : " فيلة القادسية "ص٢٦٩ ، نشره في مجلة " أرابيكا" سنة ١٩٩٨م الصادرة عن مؤسسة بريل للنشر.

[٢]) هذه الفرضية ذكرها دو بريمير– مناقضا بها نفسه فيما ذكره في مقالة " فيلة القادسية" المشار إليها آنفا – في مقالة بعنوان " **أراد أن يهدم الهيكل** " نشرت سنة ٢٠٠٠م في مجلة " آسيا تيك ٢٨٨/٢ ص ٢٦١–٢٦٧" .

عليه ما يجري على النصوص البشرية من النقد ، و رَدِّها إن اقتضى الأمر.

يقول " دو بريمير" :

" يتعين علينا تعديل وجهة نظرنا حول تكوين النص القرآني وتاريخ العناصر المختلفة التي تشكله.[١]

الرد :

سورة الفيل تذكر حادثة الفيل التي وقعت سنة ٥٧١ م . أو على وجه التقريب سنة ٥٣ قبل الهجرة ، وهو ما أجمع عليه المؤرخون. ولا علاقة لها بوقعة القادسية التي حدثت سنة ١٦هـ . ولا بما ورد في سفر المَكابيين الثالث[٢] من أسطورة ملك مصر بطليموس الرابع الذي أمر بدهس يهود الإسكندرية بالفيلة فتحولت بسبب صلوات إليعازر إلى الجنود ودهستهم . كما ادعى "دو بريمير" ذلك في تناقض فجٍّ .

وفيما يلي أدلة ثبوت حادثة الفيل :

ثبتت حادثة الفيل بعدة طرق من خلال المصادر الإسلامية :

أولها : القرآن الكريم .

ثانيها : كتب السنة (روايات تذكر الحادثة).

ثالثها : الشعر.

رابعها : كتب التاريخ التي نقلت الحادثة

خامسها : كتب التفسير .

سادسها : الدليل العقلي.

[١]) ينظر : فيلة القادسية في الموضع السابق .

[٢]) سفر المكابيين الثالث رواية تاريخية رمزية تتحدث عن اضطهاد هدد اليهود في مصر في أيام الملك بطليموس الرابع ، والذي يجب أن يسمى –أي السفر– أمورا متعلقة بالبطالسة. ينظر: الأدب الفلسفي والحِكَمِي لبولس الفغالي ص٧ .

وهذا تفصيل المصادر التي ذكرت الحادثة :

أولا : القرآن الكريم : فيه سورة تسمى بسورة الفيل . وترتيبها في المصحف العثماني السورة الخامسة بعد المئة. وقبلها سورة الهُمَزة ، وبعدها سورة قريش. والإجماع من المسلمين سلفا وخلفا على أن سورة الفيل في شأن جيش أبرهة الحبشي.

ونص السورة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)** ﴾ [الفيل ١-٥]

ثانياً: السُنّة النبوية : وأما حادثة الفيل في السنة النبوية؛ فقد أشارت إليها كتب السنة بأسانيد صحيحة، في مواضع كثيرة ،(في الصحيحين وغيرهما). ففي صحيح البخاري قول النبيﷺ "**إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ** " (١)

ومعنى " **حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ** " أي منعه من دخولها حين جيء به لقصد خراب الكعبة .

وفي صحيح البخاري أيضا في شأن الحديبية : " **وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَأَلَحَّتْ،**

١) صحيح البخاري ، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ٥/٩ ، صحيح مسلم باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ٩٨٨/٢.

فَقَالُوا: خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ» [١] .

قال شراح الحديث : أي: حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها حين جيء به لهدم الكعبة[٢]

وقد ذكرت كتب السنة كذلك بأسانيد صحيحة أن النبي ﷺ ولد عام الفيل .. فعن قيس بن مخرمة رضي الله عنه[٣] قال: " **وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الفِيلِ**" [٤].

ثالثا : الشعر :

الذي هو ديوان العرب ، وسِجِلُّ أيامهم وأحداثهم المشهورة؛ فقد ذكر الحادثة ، وطارت في العرب أخبارها عن طريق الشعر، فهذا ربيعة بن أبي الصلت وهو ثقفي، طائفي، جاهلي ، يذكر الحادثة في شعره فيقول :

إن آيات ربنا بينات ... ما يُماري فيهن إلا الكفور

حَبَسَ الفيلَ بالمُغَمَّس حتى ... ظَلَّ يحبو كأنه معقور

١) صحيح البخاري، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، ١٩٣/٣ ..

٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ٧/١٤ ، فتح الباري ٣٣٦/٥. و (حَلْ حَلْ) كلمة تقال لزجر الناقة، تهذيب اللغة ، باب الحاء واللام ١٥٣/٥، ومعنى خَلأَتِ الناقة خِلاء أي لم تَبْرَحْ مكانَها تعَسُّراً منها. كتاب العين للخليل بن أحمد ، باب الخاء واللام .

٣) قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، أبو محمد، ويقال أبو السّائب المكيّ، صحابي، ولد هو ورسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلم عام الفيل أسد الغابة ١٤٥/٤.

٤) صحيح ؛ أخرجه الترمذي في سننه ، باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ ١٨/٦ ، وأحمد في مسنده، حديث قيس بن مخرمة ٤٢٢/٢٩. وينظر كذلك المستدرك للحاكم ٦٥٨/٢.

واضعا حلقة الجِرَان[١] كما قُطّ ... صخر من كَبكَب[٢] محدور [٣]

وهذا قول نفيل بن حبيب الخثعمي، وهو الذي خرج بقومه ليصدوا أبرهة عن البيت الحرام :

حمدت الله إذ أبصرت طيرا ... وخِفْتُ حجارة تُلقى علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل ... كأن عَلَيّ للحبشان دينا [٤]

وقال أبو قيس بن الأسلت ، وهو رجل من أهل يثرب، جاهليّ :

قوموا فصلّوا ربّكم وتعوّذوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشبِ

فعندكم منه بلاء مصدّق ... غداة أبي يكسوم هادي الكتائبِ

فلمّا أجازوا بطن نعمان ردّهم ... جنود الإله بين ساف وحاصِب

فولّوا سراعا نادمين ولم يَؤبْ ... إلى أهله مِلْحَبَشٍ غيرُ عصائبِ [٥]

١) الجران: باطن العنق، وقيل: مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل: ألقى جرانه بالأرض.لسان العرب (جرن).

٢) القَطُّ : قَطْعُ الشيءِ الصُّلْبِ . تهذيب اللغة ، (باب القاف والطاء)، وكبكب: بالفتح، والتكرير: جبل خلف عرفات مشرف عليه. يجعله الواقف بعرفة فى ظهره. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع للقطيعي (١١٤٦/٣).

٣) وتنسب الأبيات أيضا لأمية بن أبي الصلت. ينظر قصة الأدب في الحجاز لعبد الله عبد الجبار، ومحمد عبد المنعم خفاجي ص ٤٩٧ .

٤) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الآلوسي ١/ ٢٧٤ . قصة الأدب في الحجاز ص ٤٤٣.

٥) الحيوان للجاحظ ٧/ ١١٨ ، الأوائل للعسكري ٣٤ ، والسَّافِي:التُّراب الَّذِي تَسْفِيه الريحُ فهو سافٍ أَي مَسْفِيٌّ كماءٍ دافقٍ أَي مدفوقٍ، لسان العرب (سفا). والحَاصِبُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ تَحْمِلُ التُّرَابَ والحَصْبَاءَ أي الحصى. تاج العروس (حصب) وكل ما يرمي بالحصباء فهو حاصب.

بل وصل الأمر ببعض الشعراء أن يذكر في شعره تعداد جيش أبرهة ؛ كعبد الله بن الزبعرى ، (شاعر قريش الذي كان يهاجي المسلمين ، ثم أسلم عام الفتح) الذي يقول عن الجيش :

فنكبوا عن بطن مكة أنها ... كانت قديما لا يُرام حريمُها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ... ولسوف ينبي الجاهلين حليمُها
ستّون ألفا لم يؤوبوا أرضهم ... ولم يَعِش بعد الإياب سقيمُها[1]

فَجُلُّ من ذكرتُ من الشعراء تكلم عن جيش الفيل الذي أراد غزو الكعبة بقيادة أبي يكسوم (كنية أبرهة الحبشي)، لكن الله منع مكة أن يدخلوها، وحبس الفيل فلم يستطع دخولها، وأرسل عليهم طيرا تحصبهم بالحجارة ، فهلك كثير منهم ، وفَرَّ البعض، ومات آخرون في طريق العودة ، ومن وصل منهم إلى ديارهم لم يلبث أن هلك .

رابعا كتب التاريخ الإسلامي:

وأما التاريخ فقد أجمع المؤرخون المسلمون على وقوع الحادثة، ودوّنوها في كتبهم كابن جرير الطبري في (تاريخ الأمم والملوك)، وابن الأثير الجزري في (الكامل في التاريخ)، وابن طاهر المقدسي في (البدء والتاريخ)، وابن الجوزي في (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) وغيرهم كثير، ومن قَبْلِهم كُتَّاب السِّيَر كابن هشام، وابن اسحاق ، وابن حبان في (السيرة النبوية) وأخبار الخلفاء، وأبي نعيم

[1]) بلوغ الأرب ٢٧٥/١ ، قصة الأدب في الحجاز ص ٥٠٠ . وكذلك ذكر عددهم القرطبي في تفسيره (١٩٣/٢٠)

الأصبهاني في (دلائل النبوة) ، والسهيلي في (الروض الأنف). وابن كثير في (السيرة النبوية). وغيرهم كثير .

يقول ابن طاهر المقدسي (ت٣٥٥هـ) " حادث الفيل أشيع فيهم وأفشى من أن يأتي عليه الكتمان ولهم فيه من الأشعار ما لا يعترض شك في صدقه ". واستشهد لذلك بقول عبد الله بن الزبعرى ، الذي نقلتُه آنفا.

واستنكر ابن طاهر أن يكون هلاك جيش الفيل بالجدري ونحوه من الأوبئة.

وذكر كذلك أن في عام الفيل ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم [١].

اهتمام العرب بالأخبار ونقلها

ثم إن العرب كانوا يهتمون بالأخبار؛ يتناقلونها ويروونها ، وكانوا رواة حفاظا؛ فبسبب أميتهم كانوا يعتمدون على حافظتهم، فرووا من أخبارهم وأخبار الأمم المجاورة الكثير الذي اعتمد عليه المؤرخون في عصر التدوين، وكان من الأخبار التي تضافرت الروايات على صدقها، حادثة الفيل .

ودوّنها العرب في ديوانهم الذي كان سجلا لحياتهم وأيامهم المشهورة ، ألا وهو الشعر كما تقدم .

ومن الأدلة التاريخية:

- اتخاذ العرب حادثة الفيل بداية التأريخ للأحداث بعدها على عادتهم في الحوادث والأيام المشهورة عندهم .

١) البدء والتاريخ لابن طاهر المقدسي ١٨٧/٣، وينظر كذلك تاريخ الطبري ١٥٥/٢، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢٤٥/٢ .

- كذلك فإن أكثر المؤرخين المسلمين مجمعون على ولادة النبي عام الفيل الذي يوافق عام ٥٧١م ، لتواتر الأخبار بذلك .
- تسمية وادٍ في مكة باسم له اتصال بالحادثة ، وهو (وادي مُحَسِّر) لِأَنَّ فِيل أَصْحَاب الْفِيل حُسِرَ فِيهِ ، أَيْ: أُعْيِيَ وَكَلَّ .

خامسا : كتب التفسير :

جل المفسرين أوردوا حادثة فيل أبرهة في كتبهم عند تفسير سورة الفيل ، وهم مجمعون على نزول السورة حكاية للحادثة ، وأنها إما تذكير بنعمة الله تعالى على قوم النبي صلى الله عليه وسلم بإهلاك جيش الفيل وحفظ البيت من كيد أبرهة وجيشه ، أو تحذير لقريش أن يصيبهم العذاب جرّاء تكذيبهم الرسول وكيدهم إياه؛ فيصيبهم العذاب .

يقول ابن جرير الطبري : "القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)** ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك، فترى بها ﴿**كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾ الذين قَدِموا من اليمن يريدون تخريب الكعبة من الحبشة ورئيسهم أبرهة الحبشيّ الأشرم ﴿**أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ**﴾ يقول: ألم يجعل سعي الحبشة أصحاب الفيل في تخريب الكعبة ﴿**فِي تَضْلِيلٍ**﴾ يعني: في تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها"[١] .

[١]) جامع البيان ٦٠٥/٢٤ .

وفي موضع آخر يقول الطبري رحمه الله : " وكان السبب الذي من أجله حلت عقوبة الله تعالى بأصحاب الفيل، مسير أبرهة الحبشي بجنده معه الفيل، إلى بيت الله الحرام لتخريبه [1].

ولم يخالف أحد من المفسرين بالمأثور أو الرأي هذا الذي ذكره الطبري في شأن أصحاب الفيل. وفي سياق تفسير السورة يورد الفخر الرازي رحمه الله سؤالا وجوابه فيقول :" لم قال: ألم تر مع أن هذه الواقعة وقعت قبل المبعث بزمان طويل؟ الجواب: المراد من الرؤية العلم والتذكير، وهو إشارة إلى أن الخبر به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا مساويا في القوة والجلاء للرؤية"[2] .

ولا أطيل الكلام بذكر الاقتباسات من كتب التفسير، أو ذكر أسماء تلكم الكتب؛ فالكل موافق لما ذكره الطبري والرازي وغيرهما من أئمة التفسير .

سادسا : الدليل العقلي :

ويبقى طريق من طرق إثبات حادثة الفيل ، وأن سورة الفيل نزلت تحكي ما كان من أمر تلكم الحادثة ألا وهو الدليل العقلي المنطقي وبيان ذلك :

أن المشركين كانوا أحرص ما يكونون على تكذيب النبي □ بشتى الطرق ومنها أن يظفروا بخبر كاذب سواء أكان في القرآن الكريم أو في كلام النبي □ ، ومعلوم كذلك ما كان بين قريش في مكة وثقيف في الطائف من التنافر والتحاسد ، فلو كان رسول الله كاذبا لعيَّرت ثقيفُ قريشا به، وأيضا ما كان من وفود الحجيج إلى مكة من كل فج ، أو وفود العرب إلى عكاظ وذي مجاز، وهما سوقان قريبان من مكة ، ومجتمَع للأخبار وكلِ أمر مستغرب، إضافة إلى ماسبق؛ تلك القبائل التي لم تكن ترعى للأشهر الحرم حرمتها، فيُغِيرون فيها

[1]) جامع البيان ٦٣٥/٢٤ .

[2]) مفاتيح الغيب ٢٨٨/٣٢ .

وينهبون كطيء وخثعم وغيرهما ، فضلا عن نصارى العرب الذين يخالفون المشركين في الدين ، فما سمعنا بأحد – مِن جميع مَن ذُكِر – أنكر شأن الفيل، أو عرّض فيه بحرف واحد . بل إن أشعارهم ناطقة بإثباته ، والحديث عنه [١].

يقول الجاحظ عن سورة الفيل : " أنزل الله هذه السورة وقريش يومئذ مجلبون[٢] في الردّ على النبي صلى الله عليه وسلم، وما شيء أحبّ إليهم من أن يروا له سقطة أو عثرة أو كذبة، أو بعض ما يتعلّق به مثلهم، فلولا أنّه كان أذكرهم أمرا لا يتدافعونه ولا يستطيع العدوّ إنكاره، للذي يرى من إطباق الجميع عليه، لوجدوا أكبر المقال. فهذا باب يكثر الكلام فيه " [٣]

فسكوت كل من سبق ذكرهم عند نزول سورة الفيل لهو من أثبت الأدلة وأقواها على حقيّة الحادثة ؛ وكذلك كونِ سورة الفيل نزلت حكاية لها .

وإذ قد ثبت كون سورة الفيل نزلت لحكاية حادثة جيش الفيل الذي جاء لهدم الكعبة سنة ٥٧١ م بقيادة أبرهة ، فيبطل ما زعمه دو بريمار ومن يرى رأيه أن سورة الفيل تخبر عن وقعة القادسية التي حدثت سنة ١٦هـ، أو عن أسطورة فيلة بطليموس الرابع.

<u>إشارة لغوية</u>

الخطاب في ﴿ **أَلَمْ تَرَ**﴾ للنبي ﷺ وهو وإن لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد

١) قصة الأدب في الحجاز لعبد الله عبد الجبار، ومحمد عبد المنعم خفاجي ص ٤٩٨ بتصرف

٢) أَجْلَبَ الرجُلُ الرَّجُلَ إذا تَوَعَّدَه بِالشَّرِّ، وجَمَعَ عَلَيْهِ الْجمع، تهذيب اللغة للأزهري، أبواب الجيم واللام.

٣) الحيوان للجاحظ ٧ /١٢٠ ، أنوار التنزيل للبيضاوي ٣٣٩/٥ .

آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها.[١] ، يقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك، فترى بها كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الذين قدموا من اليمن يريدون تخريب الكعبة من الحبشة ورئيسهم أبرهة الحبشي الأشرم [٢].

فالرؤية هنا علمية وإنما عبر عن العلم بالرؤية، للإيماء إلى أن الخبر بهذا القصص متواتر مستفيض، فالعلم به مساو – فى قوة الثبوت مع الوضوح – للعلم الناشئ عن الرؤية والمشاهدة.[٣]

ومفاد ذلك التركيب أن المخاطب قد علم ذلك علما واضحا لا لبس فيه ولا خفاء.

وقد استقرأت استعمال التركيب الاستفهامي ﴿أَلَمْ تَرَ ﴾ في القرآن الكريم فوجدته:

- إما أن يكون المستفهم عنه بصيغة الماضي؛ فهو حينئذ للاستفهام عن أمر قد حدث وانقضى في الزمن الماضي ، كقوله تعالى : **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾** [البقرة ٢٤٣].

  وقوله **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾** [الفجر ٦].
- أو أن يكون الإخبار عن أمر قد حدث ولايزال مستمرا حدوثه ، كقوله تعالى : **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾** [النساء ٤٤] .

١) السراج المنير للخطيب الشربيني ٥٨٧/٤.

٢) الطبري ٦٢٧/٢٤.

٣) تفسير المراغي ، للشيخ أحمد مصطفى المراغي ٢٤٢/٣٠ .

وقوله :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ....﴾[الحج ١٨]

وقوله :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ [غافر٦٩].

ولم يُجعل هذا التركيب– أعني قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ للإشارة إلى أمر سوف يحدث مستقبلا، إذ ليس هو من معهود لغة العرب ، ولا من عادة القرآن .

فكل ما سبق يبطل ادعاء " الفريد دو بريمار" أن سورة الفيل تشير إلى معركة القادسية التي وقعت سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م ، أي بعد نزول السورة بنحو عشرين سنة. ويضاف إليه أن "دو بريمار" يقول في عبارة غير جازمة بل مبنية على الفرض والتخمين ، وتفتقر إلى الدقة والتحقيق العلمي : " يبدو لي أن أقوى فرضية يمكننا تقديمها هي معركة القادسية الحاسمة عام ٦٣٧ م وليس حملة أبرهة المفترضة التي نعرفها فقط من أسباب النزول ، والتي يجب اعتبارها أسطورة محضة " [١]

المطلب الثالث: مدلول (أَصْحَابِ الْفِيلِ) :

تسميتهم: أصحاب الفيل، ونسبة الفيل إليهم يحتمل وجهين:

أحدهما: أي: الذي صحبوا الفيل.

والثاني: أرباب الفيل؛ كما يقال: رب الدار، وصاحب الدار.[٢]

اما محاولة "الفريد دي بريمار" جعل كلمة "الفيل" اسم جمع ، توصلا منه إلى

[١]) فيلة القادسية ص ٢٦٩ .

[٢] تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي ٦١٨/١٠ . وفي أساس البلاغة (ص ح ب) : صاحب كلّ شيء: ذوه. اهـ .

أن الكلمة تدل على جماعة من الفيلة ، هي فيلة بطليموس أو فيلة القادسية فقد باءت تلك المحاولة بالفشل، لأمرين:

الأول : إطباق جمهرة المفسرين والمؤرخين على أن فيل جيش أبرهة كان واحدا ويشهد لذلك قول ربيعة بن أبي الصلت المذكور آنفا :

إن آيات ربنا بينات ... ما يماري فيهن إلا الكفور

حَبَسَ الفيلَ بالمُغَمَّس حتى ... ظَلَّ يحبو كأنه معقور

واضعا حلقة الحِرَان كما قط ... صخر من كَبكَب محدور

حيث أخبر عن فيل واحد . [١]

الثاني : أن اسم الجمع هو ما دل على معنى الجمع، ولم يكن له واحد من لفظه، مثل قوم ورهط، أو له واحد من لفظه ولكنه ليس من أوزان الجموع كصَحْب ورَكْب.[٢]

قال الرضي الاستراباذي بعد كلام في الفرق بين اسم الجنس واسم الجمع :

" وأما اسم الجمع فهو البتة دال على الجماعة **ولا يجوز استعماله في الواحد ولا في الاثنين**، وليس له واحد من لفظه غالبا، بل له واحد من معناه، فان كان له واحد من لفظه فرق بين الواحد وبينه بغير الياء والتاء، **وهو البتة لا يكون على وزن من أوزان الجموع المعروفة** " اهـ[٣]

١) التفسير البسيط للواحدي ٣٢٣/٢٤ .

٢) شرح شذور الذهب للجوجري ١ /٢٠٢٠ .

٣) شرح شافية ابن الحاجب للرضي الاستراباذي ١٩٤/٢.

وبالتالي فكلمة "الفيل " ليست اسم جمع لفقدانها شرطا من شروطه وهو عدم جواز إطلاقها على الواحد، فالحال أن كلمة "الفيل " تطلق في الأصل على الواحد .

وعلى فرض كون كلمة "فيل" اسم جمع فلا يمنع من دلالتها على فيلة جيش أبرهة على قول من يقول إن الفيلة في جيش أبرهة كانوا ثمانية.[1] وهذا لا ينفي حادثة الفيل.

وكذلك فإن الكلمة على زنة (فِعْل) وهو ليس من أوزان الجموع المعروفة

[1]) هذا قول الضحاك ؛ الكشف والبيان للثعلبي ٢٩٦/١٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥٤٤/١٠ .

المطلب الرابع :هل كلمة " فيل" ذات أصل غير عربي ؟

أصل الكلمة :

فال ابن سيده:

الفِيْلُ مَعْرُوفٌ والجمعُ أَفيَالٌ وَفُيُولٌ وَفِيَلَةٌ والأُنْثَى فِيْلَةٌ وصَاحِبُهَا فَيَّال .[١]

ونُقِل عن سِيبَوَيْهِ: يجوز أَن يكونَ أَصلُ "فِيل" فُعْلاً، فكُسِر من أَجلِ الْيَاء، كَمَا قَالُوا أَبْيَض وبِيض، وصاحِبُه فَيَّالٌ ، واسْتَفْيَلَ الجمَلُ: صارَ كالفيلِ فِي عِظَمِه، نَقله الزَّمَخْشَرِيّ، وَحَكَاهُ ابنُ جِنِّي فِي بابِ اسْتحوَذَ وأَخَواته، وَتَفَيَّلَ النباتُ: اكْتَهلَ، عَن ثَعْلَب. وتفَيَّلَ الشَّبَاب: زادَ، عَن اللَّيْث، وَأَنْشد:

حَتَّى إِذا مَا حانَ مِن تفَيُّلِه .. ..

تفَيَّلَ فلانٌ: سَمِنَ، وفال رَأْيُه يَفِيلُ فَيْلُولَةً أَخْطأَ وضَعُف.[٢]

ولم أجد عند من صنفوا في المعرّب من الألفاظ الأعجمية من أشار إلى أن لكلمة " فيل" أصل في الكلام الأعجمي .

وأما الزعم بأن كلمة فيل ذات أصل غير عربي، وهي في العربية مأخوذة أو مقترضة من الفارسية، أو الآرامية أو السريانية؛ كما ذكر " آرثر جيفري " [٣]، مفترضا ذلك دون دليل ، حيث يقول :

" **ويبدو أن الاسم فارسي الأصل، وبعض النحاة العرب حاولوا اشتقاق الاسم**

١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ف ي ل)، و لسان العرب لابن منظور (فيل) .

٢) تاج العروس للزبيدي ٣٠/٢٠٠ (فيل). وصدر البيت المستشهد به ورد في العين وتهذيب اللغة ، ولسان العرب ، وغيرهم بلا نسبة .

٣) مستشرق استرالي، (١٨٩٢– ١٩٥٩م)، من كتبه : القرآن ككتاب ديني ، مصادر تاريخ القرآن .

من الجذر العربي، وقد عرف الاسم في الشعر العربي القديم "[١]

فزعمه لم يُقِم عليه دليلا، فالكلمة عربية الأصل، ولها دوران في الكلام العربي بمعان متعددة، ولم يذكر أحد من أساطين العربية ، ولا مَنْ صنفوا في المُعَرّب من كلام الأعاجم كونَها ذات أصل غير عربي ثم عُرِّبت .

فأي زعم عن عجمة الكلمة بعد ما ذُكر في كتب اللغة وغيرها ؟ اللهم إلّا المحاولة اليائسة لإثبات تأثر القرآن بما حوله من لغات وثقافات في حينه .

ماذا لو تضمن القرآن بعض الكلمات الأعجمية ؟

وهنا يبرز سؤال : ماذا لو وجد في القرآن بعض الكلمات التي ثبت كونها غير عربية؟ أيقدح ذلك في عربية القرآن الكريم ؟ أو يضعه تحت طائلة التأثر بالتوراة والإنجيل، والأخذ من اللغات والثقافات السائدة وقت نزوله ؟

الجواب : إذا اشتمل القرآن الكريم على بعض الكلمات الأعجمية فإن للعلماء فيه توجيهان :

الأول: أنه من توارد اللغات، أي اتفاق اللفظين أو تقاربهما والمعنى واحد ، وذلك في لغتين أو أكثر. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى:

"قد يوافق اللفظُ اللفظَ ويقاربه، ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية ، والآخر بالفارسية أو غيرها"[٢]. ومن القائلين بهذا الأئمة: الشافعي، والطبري، وابن جني، والفخر الرازي.

[١]) ينظر كتاب : The foreign vocabulary of The Quran: لآرثر جفري. p.230.

[٢]) مجاز القرآن (١٧/١) . ومما نقل عن أبي عبيدة في رفضه لوجود غير العربي في القرآن ماذكره تلميذه أبو عبيد القاسم بن سلام سماعا قوله " من زعم أن في القرآن ألسنا

الثاني : أن هذه الكلمات الأعجمية أدخلت إلى العربية قديما نتيجة لاختلاط أبناء الجزيرة العربية بالأعاجم من الفرس والروم وبلاد الهند وما حول أرض الجزيرة في رحلاتهم بغرض التجارة وغيرها ، ثم استعملها العرب في كلامهم ، وأجروا عليها أحكام الألفاظ العربية ، فعُرِّبت بالاستعمال. وأظهر من قال بهذا أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ونقله عنه أحمد بن فارس[١]، وقد وفّق أبو عبيد بين التوجيهين المذكورين ، وصوّب كلا المذهبين، فالأول عنده صادق بالنظر إلى أصل الكلمة قبل النقل إلى العربية ، والثاني بالنظر إليها بعد تعريبها.[٢]

ثم إنه على فرض وجود القليل من الألفاظ الأعجمية الخالصة في القرآن الكريم فهذا لا يخرجه عن عربيته ، قال الإمام السيوطي رحمه الله : " إن الكلمات اليسيرة غير العربية لا تخرج القرآن عن كونه عربياً، فالقصيدة الفارسية لا تخرج عن كونها فارسية بلفظة فيها عربية"[٣]

سوى العربية فقد أعظم على الله القول " محتجا بقوله تعالى :﴿إِنَّاجَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف ٣]. ينظر : غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٤٢/٤).

[١]) ينظر الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص(٣٣) والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي ص(٦٦) .

[٢]) قال أبو عبيد في التوفيق بين القولين: "إن القائلين بوجود ألفاظ غير عربية في القرآن ذهبوا إلى مذهب وذهب هذا –أي من يقول بعدم وجود كلمات غير عربية فيه –إلى غيره ، وكلاهما مصيب إن شاء الله ، وذلك أن أصل هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته فصار عربيا بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحال، عجمية الأصل فهذا القول يصدق الفريقين جميعا . اه . بتصرف يسير من غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٤٢/٤).

[٣]) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب ص (٥٩) بتصرف يسير .

المطلب الخامس : المراد بالكيد والتضليل :

أولاً : الكيد .

يقول تعالى : ﴿**أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ** ﴾ [الفيل ٢] .

إذا كان القرآن لم يبين نوع الكيد الذي أبطله الله تعالى – إذ هو معلوم للكافة– ؛ فلا يبرر هذا أن يُفْتأت على الله تعالى بتفسير القرآن على غير مراده . أما كون القرآن لم يبين نوع الكيد فقد تواتر الخبر بأن الكيد هو قصد أبرهة وجيشه تخريب الكعبة، فلا حاجة إلى حديث القرآن عن تفصيل هذا الأمر؛ لكونه معلوما بالضرورة لمن كان موجودا من العرب وقت نزول القرآن[١] . وإذا كانت كلمة "كيد" نكرة فإنها تعرَّفَتْ بإضافتها إلى الضمير "هم" فعرفنا بهذا أن الكيد هو ما أراده أصحاب الفيل من تخريب الكعبة .

قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية: "يقول ﴿**أَلَمْ يَجْعَلْ** ﴾ سعي الحبشة أصحاب الفيل في تخريب الكعبة ﴿**فِي تَضْلِيلٍ** ﴾ يعني: في تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها"[٢].

وقال ابن الجوزي : قوله تعالى ﴿**أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ** ﴾ وهو ما أرادوا من تخريب الكعبة ﴿**فِي تَضْلِيلٍ** ﴾ أي: في ذهاب. والمعنى: أن كيدهم ضَلَّ عما قصدوا له، فلم يصلوا إلى مرادهم وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ[٣].

وما ذكره ابن جرير وابن الجوزي في معنى الكيد هو ما عليه جمهور المفسرين.

١) المعلوم بالضَّرورة: الثابت بصفة قطعيّة. معجم اللغة العربية المعاصرة (١٣٥٨/٢) (ضرر).

٢) الطبري (٦٠٥/٢٤) .

٣) زاد المسير (٤٩٢/٤) .

أما من ينظر في القرآن لغرض صرفه عما أراد الله منه فله عنده معنى آخر فالمقصود بالكيد في الآية عند " ألفريد لويس دو بريمير" و" جيوم داي " هو الشائعة المعادية التي تم إطلاقها ضد يهود الإسكندرية –الذين رفضوا التضحية للأصنام – للتشكيك في ولائهم للأسرة الحاكمة . وهذا هو الشَّرَك الذي تم إيقاع اليهود فيه – طبقا لما ورد في سفر المكابيين الثالث–، يقول "جيوم داي" دون أن يقيم دليلا على ما يقول: " وقد تكون هذه هي الحيلة التي يتحدث عنها القرآن "[١] أو المراد بالكيد النية الخبيثة وهي مخطط دهس اليهود تحت أقدام الفيلة التي سُقيت النبيذ ، أيضا طبقا لما في السفر السابق[٢] .

ثانيا: معنى كلمة ﴿ تَضْلِيلٍ ﴾ [الفيل ٢] .

فيما يلي توضيح لمدلول الكلمة في اللغة والمراد منها في سياق سورة الفيل .

ضَلَّ يَضِلُّ اذا ضاعَ [٣]

الضلال الإبطال ومنه ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٤] أي أبطلها، ومنه قوله تعالى :﴿**أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ** ﴾ [٥] .

الضَّلالُ والضَّلالةُ: ضدُّ الهُدَى والرَّشاد، وضَلَلْت المَسْجدَ والدارَ إِذا لَمْ تَعْرِفْ مَوْضِعَهُمَا، وضَلَّ الشيءُ إِذا ضَاعَ، وضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ إِذا جَارَ، والضَّلال:

١) ينظر كتاب ندوة حول القرآن لمهدي عزيزي وآخرين ص ٤٣٣ . Le Quran Seminar

٢) ندوة حول القرآن في الموضع السابق .

٣) العين للخليل بن أحمد باب الضاد مع اللام ٨/٧ .

٤) سورة محمد (١).

٥) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٣٩٣/١.

النِّسْيان، وَالتَّضْلِيلُ: تَصْيِيرُ الإنسان إلى الضَّلال.[١]

والمراد بالتضليل في كتب التفسير :

يقول الطبري : أي ألم يجعل سعي الحبشة أصحاب الفيل في تخريب الكعبة ﴿ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ يعني: في تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها.[٢] وفي الكشاف: ﴿ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ في تضييع وإبطال. يقال: ضلل كيده، إذا جعله ضالا ضائعا.[٣] وقال الراغب : وقوله: ﴿ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أي في باطل وإضلال لأنفسهم.[٤]

تلك هي معاني التضليل؛ في كتب اللغة تدور حول الضياع ، والإبطال، والنسيان، والهلاك والخسار. وفي كتب التفسير حول تضييع وإبطال سعي جيش الحبشة في تخريب الكعبة .

ولم يقل أحد من أهل اللغة إن معنى التضليل في الآية : الإرباك كما ادعى (ريجي بلاشير)[٥] ليوافق –في تعسف ظاهر– تفسير أصحاب الفيل بأنهم جنود بطليموس . حتى يُثْبِت أخذ القرآن للقصة من سفر المكابيات الثالث وهو من تفاسير العهد القديم.

[١]) لسان العرب لابن منظور (ضلل) .

[٢]) جامع البيان لآبن جرير الطبري ٦٠٥/٢٤.

[٣]) الكشاف للزمخشري ٧٩٩/٤ ، ومفاتيح الغيب للرازي ٢٩١/٣٢ .

[٤]) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٩٨ .

[٥]) LE CORAN ,Traduction REGIS BLACHERE ,pg 666 .

المطلب السادس : هل الطير الأبابيل حقيقة أم أسطورة كما يدعي بعض المستشرقين وغيرهم ؟

يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) ﴾

أكثر المفسرين على أن المراد بالطير المعني الحقيقي، ولا مجاز في الكلمة ، وأن الله تعالى أرسل عليهم طيراً أبابيل ؛ أي كثيرة متتابعة ، أو فرقا يتبع بعضها بعضا[١]

لكن اختلافهم كان في صفة الطير الأبابيل ؛ مناقيرِها وأرجلِها ، وألوانِها، وجهة مجيئها ، أسماوية أم أرضية ؟ أجاءت من جهة البحر أم من البرّ ؟ ولا يضر هذا الاختلاف .

حتى من قال إن الله تعالى أهلك جيش أبرهة بالجدري – رواية عكرمة عن ابن عباس[٢] – ذكر أنها طيور ألقت عليهم حجارة نُفِطَت لها جلودهم؛ فأصابهم الجدري أو الحصبة ، فالطيور حاضرة حتى في هذا .

وأما من قال:" إنه يجوز لنا أن نعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، أو قد تكون هذه الحجارة من الطين اليابس المسموم الذي تحمله الرياح، فيعلق بأرجل هذا الطير، فإذا اتصل بالجسم دخل

١) كذا قال عبد الرزاق في تفسيره (٤٦٠/٣) و الطبري (٦٠٥/٢٤) والزجاج في معانيه (٣٦٣/٥) وابن أبي حاتم في تفسيره(٣٤٦٦/١٠) والسمرقندي في بحر العلوم (٦١٨/٣) وابن كثير في تفسيره (٤٨٨/٨) وعلق بأن هذه الروايات أسانيدها صحيحة .

٢) تفسير عبد الرزاق (٤٦١/٣) ، جامع البيان (٦٠٨/٢٤) ، تفسير ابن أبي حاتم (في الموضع السابق).

فى مسامّه، فأثار فيه قروحا تنتهى بإفساد الجسم وتساقط لحمه"[١].

فهذا اجتهاد خالف فيه صاحبه جمهرة العلماء .

رأي المستشرقين في المراد بالطير الأبابيل:

يزعم " ألفريد لويس دو بريمير" أن ليس ثَمّت طيور أبابيل على الحقيقة ، ولا حجارة من سجيل قد رُمي بها جيش أبرهة. وصولا إلى نفي حادثة الفيل بالأساس[٢] .

الرد :

لم يذكر الكاتب ولا من نقل عنه دليلا على ذلك أو مصدرا موثوقا يمكن الرجوع إليه.

ثم إن الكاتب ذكر أن سورة الفيل بهذا تكون مفسِّرة لهذا النصر في القادسية – الذي لم يكن قد حدث وقت نزولها !!! – بأنه انتصار الله تعالى ، مستشهدا بالعبارة التي وردت في العهد القديم ، في سفر أشعياء [إصحاح ٤١ آية ٢] : " **من أنهض من المشرق الذي يلاقيه النصر عند رجليه ؟ دفع أمامه أمما ، وعلى ملوك سلطه ، جعلهم كالتراب بسيفه، وكالقش المنذري بقوسه** "

فطبقا للتفسير التلمودي لهذا النص يكون المعنِيُّ هو إبراهيم حين يلقي على أعدائه من السماء حجارة وقشّاً وقد صارت سيوفا وسهاما [٣] .

١) هذا القول قاله الإمام محمد عبده رحمه الله في تفسيره لسورة الفيل ، ووافقه الشيخ أحمد مصطفى المرااغي . ينظر تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص ١٥٨ ، وتفسير المراغي (٢٤٢/٣٠) .

٢) ينظر: فيلة القادسية لألفريد لويس دو بريمير ص ٢٦٦ .

٣) التفسير الإنجيلي مخالف لهذا التفسير التلمودي إذ المعنِيّ في التفسير الإنجيلي في هذه الفقرة هو الملك الفارسي (قورش) الذي يرمز لمجيىء المسيح . ينظر: شرح سفر أشعياء للقمص ناشد حنا ص ٢٦٤ .

كل ذلك لكي يثبت– بأي وجه كان– أن للقرآن خلفية توراتية، وتأثُّراً بالكتب السابقة .

وفي الأخير فالحادثتان – حادثة فيلة بطليموس، وفيل إبرهة – مختلفتان تمام الاختلاف ، هذا إن صحت الأولى، وذلك أن كثيرا ممن شرح سفر المكابيين الثالث الذي وردت فيه الحادثة شكك في حدوثها بالتفاصيل الواردة في السفر ووصفوها بالخيالية، والأسطورية ، فضلا عن نقدهم للسفر نفسه من حيث قانونيته فهو" **يبدو وكأنه رواية تاريخية مليئة بالمبالغات فيما يختص بالمعجزات، ولم يحظ هذا السفر بأية صفة قانونية ؛ حيث لم يرد في أي قانون لأسفار الكتاب المقدس** ".[1]

أما حادثة الفيل فهناك إجماع **سكوتي تقريري** من أهل مكة ومن حولهم من قبائل العرب بعد ذكر القرآن لها– مع حرص العرب في ذلك الوقت على الظفر بما يُشَغِّبون به على القرآن– ، وهناك أيضا إجماع **سردي** من رواة الأخبار من العرب ومن كُتّاب التاريخ الإسلامي على حدوثها ، إضافة إلى ذكر شعراء جاهليين ممن عاصرها في أشعارهم كما تقدم بسطه في المطلب الأول، فأي صلة لسورة الفيل بالتوراة .

ومن خلال القرآن الكريم فالإشارة إلى حادثة الفيل متواترة لفظا ومعنى تبعا لتواتر القرآن ، ومن خلال المصادر المتقدمة سوى القرآن فالحادثة متواترة من حيث المعنى .

١) مدخل إلى سفري المكابيين – الأنبا مكاريوس الأسقف العام، موقع الأنبا تكلا هيمانوت St-Takla.org

المطلب السابع : أصل كلمة ﴿ أَبَابِيلَ ﴾ والمراد بها :

كلمة "أبابيل"في كتب اللغة :

أكثر من تكلم فيها من علماء اللغة ذكر اشتقاقها .

فالأبابيل جمع إبِّيل، كسِكِّين وسكاكين، وهي جماعات من هَاهُنَا وجماعات من هَا هُنَا[١] وقال أبو جعفر النحّاس عن هذا : "إنه أصح ما قيل في واحد الأبابيل" [٢] .

وقال الخليل : "طيرا أبابيل " أي يتبعُ بَعْضُها بَعْضاً إبِّيلاً إبِّيلاً، أي: قطيعا خلف قطيع . وذكره الأزهري في تهذيب اللغة[٣] .

وعن ابْن الأعرابيّ والكسائي : واحدها إبَّوْلُ – مثل سِنَّوْر– وهو طائرٌ يَنفرد من الرَّفّ، وَهُوَ السَّطر من الطَّيْر[٤] .

وعن أبي جعفر الرُّؤاسيّ أنّ وَاحِدهَا إبّالة [٥].

وَقَالَ أبو عبيد والفَراء إن "أبابيل" لَا وَاحِد لَهَا، مثل الشَّماطيط [٦].

وعن المراد بها في سياق السورة ؛ فأكثرُ المفسرين على أن المراد طيور حقيقية أرسلها الله تعالى في جماعات كثيرة متتابعة ، كانت تحمل حجارة في مناقيرها وأرجلها فألقتها على أبرهة وجيشه؛ فأهلكتهم [٧].

[١]) مجمل اللغة لابن فارس ، باب الهمزة والباء وما يثلثهما .

[٢]) إعراب القرآن للنحّاس ١٨٣/٥ .

[٣]) باب اللام والباء .

[٤]) تهذيب اللغة في الموضع السابق ، شمس العلوم للحميري ١٥٣/١ .

[٥]) معاني القرآن للفرِاء ٢٩٢/٣ .

[٦]) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣١٢/٢. معاني القرآن للفرِاء ٢٩٢/٣ ، لسان العرب (أبل)، والشماطيط : القِطَعُ المتفرّقةُ . لسان العرب (شمط) .

[٧]) جامع البيان للطبري٦٠٦/٢٤ ، زاد المسير ٤٩٠/٤ ، مفاتيح الغيب ٢٩٢/٣٢ فتح القدير للشوكاني ٦٠٧/٥ .

بعد هذا البيان لأصل كلمة أبابيل يأخذ القارئَ المنصفَ العجبُ حينما يرى ذكر بعض المستشرقين لأصل الكلمة والمراد بها .

فمن قائل إن "**أبابيل**" لفظ أجنبي حتى ولو لم نعرف المصدر ومن قائل : المقصود هو التعبير الفارسي (طير – ي بابيل) لكنها قرئت خطأً : ﴿ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ . فالاسم له علاقة بمدينة " بابل " التي في العراق . وآخر يقول إن المراد بها ملائكة الموت على هيئة طيور جارحة، أو أنها وحوش ذات أجنحة . وفي الأخير من هذه الأقوال من يفسر الطير الأبابيل بأنها ملائكة تدخلت لإنقاذ اليهود من بطش الملك بطليموس الرابع. فهو يعد سورة الفيل نوعا من التفسير القرآني لسفر المكابيات الثالث.

وفيما يلي مناقشة لهذه الأقوال :

أولا : أصل الكلمة عند بعض المستشرقين :

يرى المستشرق آرثر جيفري أن كلمة أبابيل غير عربية ، حيث يقول عنها : " **اللفظ أجنبي حتى ولو لم نعرف المصدر**"[1] أي أن اللفظ ليس بعربي ، مع أن عامل سقوط دعواه متضمَّن في كلامه إذ كيف يدعي دعوى دون دليل أو مصدر لدعواه . وبالتالي فكلامه ساقط وتلك سقطة له هو كباحث أو كعالم في مجاله .

يضاف إلى ذلك ما سبق ذكره من أن اشتمال القرآن على كلمات غير عربية فذلك إما لأنها عُرِّبت ، وإما لأنها مما اتفقت فيها اللغات .

فرية الخطأ في قراءة قوله تعالى : ﴿ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ .

[1] (The foreign vocabulary of The Quran; p.44

.

قد عرفنا مقولة آرثر جيفري آنفا، وتم الرد عليها. لكن العجب من ادعاء الخطأ في الأداء الصوتي للكلمة كما فعل "كارا دي فوكس" [١]؛ فبعد أن وافق القائلين إن جملة ﴿ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل٣] أصلها هو التعبير الفارسي " طير بابيل" التي معناها : سهام بابلية ؛ زاد في إفكه فقال إنها قرئت خطأ [٢]﴿ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل٣] . ولم يذكر مستنده في هذا الادعاء الخطير.

وجَهِلَ أو تجاهل "كارا دي فوكس" – حين ادعى أن المسلمين قرأوا الكلمة خطأ– قول الرسول □ "**اقْرَءُوا كَمَا عُلِّمْتُمْ** " [٣]، وأن "**القراءة سُنَّة** " [٤] مُتَبَعة، يتلقاها اللاحق عن السابق، فمعنى هذه النصوص ونحوها أن القرآن الكريم في أدائه الصوتي متواتر إلى رسول الله □ ؛ فكما ثبت له التواتر الخطي ؛ ثبت له التواتر الصوتي ؛ فلا مجال فيه بعد هذا للخطأ في الأداء .

والعجب أن يميل إلى هذا الرأي أيضا " لويس دي بريمير" الذي خلص أن لكلمة ﴿ أَبَابِيلَ ﴾ علاقة بمدينة "بابل" – هكذا دون ذكر مستنده فيما ذهب إليه – واستنتج هو و"فوكس" أن الآية تؤكد أن الله تعالى أرسل "الطيور البابلية" أي السهام البابلية ضد الأعداء[٥].

[١]) مستشرق فرنسي ١٨٦٧–١٩٥٧ م. من مؤلفاته : ابن سينا، الغزالي، كتاب " مفكروالإسلام " .

[٢]) كتاب مفكرو الإسلام ، كارا دي فوكس ص ٣٩٨.

[٣]) أخرجه أحمد ١٩٩/٢، وابن حبان موقوفا على عليّ بن أبي طالب٢٢/٣، وأبو يعلى مرفوعا ٤٧٠/٨ ، كلهم بإسناد حسن .

[٤]) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٤٥/٥ /٤٨٥٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى في الصلاة باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف السبعة ٣٨٥/٢ ، كلاهما من طريق سعيد بن منصور، والحديث حسن لذاته.

[٥]) فيلة القادسية ص٢٦٦ .

ثانيا : المراد بالطير الأبابيل لدى بعض المستشرقين:

– الطير الأبابيل تشير إلى ملائكة الموت ، أو هي وحوش ذات أجنحة :

واستمرارا للتفسيرات الغريبة لحادثة الفيل؛ تفسير الطير الأبابيل بالملائكة على اعتبار أن سورة الفيل– كما تقدم– نوع من (المدراش) أي التفسير المرتكز على أسفار توراتية – غير قانونية بالمناسبة ، بشهادة كثير من شرّاح الكتاب المقدس– واستنادا إلى قصة فيلة بطليموس التي نجى الله فيها اليهود عن طريق اثنين من الملائكة فكذلك أرسل الله ملائكة لهزيمة جيش الفيل، بجامع استخدام الفعل "أرسل" في القصتين **!!!** .

في حين يذكر " جيوم داي [١] " أن المراد بالطير الأبابيل؛ ملائكة جميلة على هيئة وحوش مجنّحة. ، أو مخلوقات سماوية ذات مظهر مهيب[٢] .

وهكذا يرى القارئ تخبط المستشرقين في أصل الكلمة ومعناها، دون ذكر دليل على ما يقولون . ابتعادا بالطير الأبابيل عن حقيقتها إلى مجاز خارج عن السياق. دون داع إليه ، ووصولا إلى القول بانتفاء حادثة جيش أبرهة " قصة أصحاب الفيل ".

توظيف " دو بريمير" لرواية ابن عباس :

يقول " دو بريمير" : "إن وصف ابن عباس[٣] يتوافق مع نوع من حيوانات الغريفين

[١]) جيوم داي، (معاصر)، أستاذ الدراسات الإسلامية ، جامعة بروكسل. أهم مؤلفاته : وجهات نظر حول التاريخ ، قرآن المؤرخين، المسيحية اليهودية وأصول الإسلام .

[٢]) ينظر مقالة " جيوم داي" في كتاب : ندوة حول القرآن ، لمهدي عزيزي وآخرين ص ٤٣٣ .

[٣]) يقصد الأثر المروي عن ابن عباس في وصف الطير الأبابيل قال: « لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب» الطبري (٦٣١/٢٤) .

الغريبة[١] ، نصفها طيور ، ونصفها كلاب" ، ثم يتساءل : " ما هي الصور والتمثيلات المرنة أو الأدبية للغريفين التي تجلبها هذه الاستحضارات إلى الأذهان" ؟

ثم يفترض في تشكك فيقول" وربما كان هناك أيضا بعض التماثيل من هذا النوع قد اخترقت حرم قريش بمكة " .

ويحاول " دو بريمير " تدعيم فرضيته هذه بخبر ظفر به عن صنم يدعى ذا الكفين ، كان موجودا عند الكعبة وهو صنم لقبيلة دوس، حَرَّقه الطفيل بن عمرو الدوسي بأمر من رسول الله □ حين أسلموا. [٢]

ويزعم " دو بريمير " أن معنى " ذو الكفين " ذو اليدين والقدمين!![٣] .

أما ابن حجر العسقلاني فقد ضبطه "ذو الكَفِين" بفتح الكاف وكسر الفاء.[٤]

[١]) حيوان الغريفين "GRIFFIN" حيوان خرافي ، وهو كائن مجنح ، نصفه نسر ونصفه أسد.

المورد الكبير لمنير البعلبكي (ص٤٠١)، وهذا الحيوان موجود في أدبيات العصور الوسطى وما قبلها، وشكله هذا يرمز إلى القوة والمهابة لما أن النسر أقوى الطيور، والأسد أقوى الحيوانات .

[٢]) كتاب الأصنام للكلبي (ص ٣٧) .

[٣]) هذا خلط منه بين مفهوم كل منهما ، إذ الكف هي الرَّاحَةُ مَعَ الْأَصَابِعِ . سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَكُفُّ الْأَذَى عَنْ الْبَدَنِ . تهذيب اللغة للأزهري (باب الكاف والفاء)، وَالقَدَم مِن لَدُن الرُّسْغ: مَا يطَأ عَلَيْهِ الْإِنْسَان.المصدر السابق (أبواب القاف والدال). وفي وصف سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه للنبي □: " ... شَثْنُ الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ " سنن الترمذي ، باب ما جاء في صفة النبي (٥٩٨/٥ ، ح ٣٦٣٧) .والعطف يقتضي المغايرة فليسا شيئا واحدا كما ذكر"دو بريمير "

[٤]) فتح الباري ١٠٢/٨.ولم أقف على توجيه لهذا الضبط ، ولا على معنى الكلمة .غير أني وجدت في (كَفَنَ) الكَفْن – بفتح فسكون– غزل الصوف ، كَفَنَ، يَكْفِنُ، كَفْناً، من باب

وضبطه الزبيدي في تاج العروس بضم الكاف وفتح الفاء مخففة بوزن زُبَيْر.[١] ولم أقف على توجيه أو معنى لهذين الضبطين.

وثَمَّ ملاحظة أخرى ؛ وهي أن إيراد علماء اللغة لكلمة(الكفين) مرة في مادة " كفف " وأخرى في "كفن" يسقط دعوى دو بريمير، أن معنى " ذو الكفين " : ذو اليدين والقدمين . لأنه تخصيص لكلمة "الكفين" بأحد الأصلين بدون مخصص. فأي مُتَمَسَّك لدو بريمير– بعد كل هذا– في استشهاده على وجود صنم على هيئة حيوان الغريفين في مكة، وعند الكعبة خصوصا ، توظيفا منه لرواية ابن عباس، واستماتة في إنكار وقوع حادثة الفيل، وجعْلِ السورة ليست في قصة فيل أبرهة وجيشه.

– **الطير الأبابيل طيور جارحة تؤذي وتضر**

القول بأن المراد بالطير الأبابيل في سورة الفيل؛ طيور جارحة تؤذي وتضر، والسبب في هذا التفسير تكرار لفظ الطيور في الكتاب المقدس (سفر التكوين ١١/١٥) بمعنى الطيور الجارحة.[٢]

أقول : هذا القول وإن كان لا يتعارض مع القرآن الكريم في وصف الطيور من حيث كونها جارحة أو لا ؛ لأنه من المسكوت عنه ، إلا أن هذا القول – في ربطه لتفسير الطير الأبابيل بالطيور الجارحة بما هو موجود في سفر التكوين – جارٍ على عادة بعض المستشرقين في ادعاء تأثر القرآن بالكتب السابقة .

ضرب . تهذيب اللغة ، أبواب الكاف والنون. فهل يكون معنى ذو الكَفِين أي ذو الشيئ المكفون أي المغزول من الصوف ؟

[١]) تاج العروس (كفن) ومعجم متن اللغة (كفف) .

[٢]) يراجع "خواطر" لكريستوف موث ، أو:

Reflections on the relationship of Early Arabic Poetry and the Quran.pg,156.

والسؤال: هل مجرد وجود كلمة أو جملة واستعمالها في كتابين سواء أكانت بنفس المعنى أم بمعنى مختلف؛ أيدل هذا على تأثر أحدهما بالآخر ، أو اقتباسه منه ؟ لا يقول بهذا إلاّ جاهل أو متحامل .

وتحقيقا؛ فقد رجعت إلى سفر التكوين، الإصحاح الخامس عشر فوجدت هذا النص : **فقال له – أي الرب لإبرام** – " **خذ لي عِجْلة ثلاثية ، وعَنْزة ثلاثية، وكبشا ثلاثيا ، ويمامة وحمامة** "، **فأَخَذَها كلَّها وشَقَّها من الوسط ، وجَعَل شق كل واحد مقابل صاحبه ، وأما الطير فلم يشقه فنزلت الجوارح على الجثث وكان إبرام يزجرها** "[1].

فأي علاقة بين هذا وبين حادثة الفيل ؟ بل بين جوارح إبرام وبين الطير الأبابيل التي في القرآن الكريم ؟

[1]) العهد القديم ، سفر التكوين إصحاح ١٥ آيات ٩-١١ ص ٢١ .

المطلب الثامن: معنى قوله تعالى : ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ .

معنى سجيل وأصلها في اللغة :

كلمة " سجيل " إما أنها غير عربية الأصل ، فهي مما عُرِّب من الفارسية وأصلها : " سِنْك وكِلْ" ومعناها حجارة وطين[١] . وهذا القول لابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة .

ويكون المعنى : حجارة وطين طبخت بنار جهنم[٢].

أو أن الكلمة عربية ولها اشتقاق يختلف المعنى باختلافه ؛ فقيل :

هو فِعِّيل من السَّجْل، وهو الإرسال، تقول أسْجَلْته ، أي أرسلته، فكأنها مرسلة عليهم؛ وقيل: هو مأخوذ من السِّجِلّ وهو الكتاب: أي مما كتب عليهم أن يُعذبوا به . واستحسن الأزهري هذا القول في معنى الآية وتبعه الفيروزابادي[٣].

أو من أسجلت إذا أعطيت، مأخوذ من السَّجْل؛ وهو الدلو . ومنه قول الشاعر :

من يُسَاجِلْنِي يُسَاجِل ماجِداً يَمْلأُ الدَّلوَ إِلَى عَقدِ الكَرَب[٤]

أي من يساجلني في العطاء، أو في الفخر.[٥]

[١]) المحكم(٢٧٤/٧) (سجل) .

[٢]) الصحاح (سجل) .

[٣]) تهذيب اللغة ، أبواب الجيم والسين (٣٠٩/١٠)، تاج العروس (سجل).وينظر : الصحاح ، ولسان العرب (سجل) ، و شمس العلوم (٢٩٧٥/٥) .

[٤]) البيت من الرمل، وهو للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب . وقوله يملأ الدلو ...الخ ؛ يضرب لمن يبالغ فيما يلى من الأمر.

[٥]) أصل المساجلة أَن يستسقى ساقيان فَيخرج كل وَاحِد مِنْهُمَا فى سجله مَا يُخرجهُ الآخر فَأَيّهمَا نَكَل فقد غُلِب . ثم استعملت المساجلة في المعارضة والمباراة في كل شيء من سبق أو رمي أو غير ذلك .المستقصى في أمثال العرب ١١٣/٢ . زهور الأكم في الأمثال والحكم ١٠٦/٢

وأما المراد بقوله تعالى : ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ **فـ :**

أولا: كلمة " سجيل" فارسية معرّبة وأصلها كلمتان هما "سِنْك" بمعنى حجر، و"كِلْ" بمعنى الطين[١] ، ومجموع الكلمتين يراد به الآجُرّ.[٢] وتكون "من" في الآية بيانية أي حجارة هي سجيل.

ثانيا: من سجيل أي من جملة العذاب المدون المكتوب. مأخوذ من السِّجِلّ.

ثالثا: المراد بسجيل السماء الدنيا، أي أنهم رُموا بالعذاب من السماء الدنيا.[٣]

رابعا: السجيل اسم لجهنم ، فهم قد رُموا بحجارة من جهنم .

خامسا : السجيل عبارة عن شدة الحجارة وقوتها.[٤]

فالقارئ رأى بعد استعراض هذه الأقوال أن الأمر على حقيقته وأن العذاب قد نزل بأصحاب الفيل فعلا ، غير أن بعض المستشرقين لهم رأي آخر يخدم ما يرمون إليه من إنكار حادثة الفيل .

رأي " دو بريمير " في معنى قوله تعالى ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ :

يحاول" دو بريمير" بشتى الوسائل إنكار حادثة فيل أبرهة ؛ ففي شرحه لمعنى الآية يقول : " ليس من منطقة مكة يمكن رسم الحجارة المصنوعة من الطين ،

[١]) ينسب هذا القول إلى ابن عباس وعكرمة وقتادة . الطبري ٦٠٨/٢٤ ، الوجيز للواحدي ١٢٣٣/٤، النكت والعيون ٣٤٣/٦.

[٢]) الآجُرُّ لبِن محروق مُعَدٌّ للبناء . معجم اللغة العربية المعاصرة (٦٥/١).

[٣]) قاله ابن زيد وسعيد بن أبي هلال .الطبري في الموضع السابق.

[٤]) قاله أبو عبيدة . مجاز القرآن ١٨/١. تأويلات أهل السنة ٦١٩/١٠ .واستشهد أبو عبيدة بقول ابن مقبل:

وَرَجْلَةٍ يضربونَ البيضَ عَن عُرُضٍ ضَرْباً تواصَت بِهِ الأبطالُ سِجِّينا

وسجيل وسجين بمعنى واحد . مجاز القرآن ٢٩٦/١ و ٣١٢/٢ ، وينظر اللسان (سجل)

بل من منطقة بين النهرين ، حيث لا يوجد نقص في الطمي ، وحيث تخدم الأرض تقليديا العديد من الاستخدامات " .

ثم يتحدث عن أنواع الطين التي كانت تستخدم في الكتابة المسمارية للسومريين قبل حوالي عشرين قرنا. وهذه محاولة ساذجة منه لإبعاد مكة عن السياق تماما ، والإيحاء بأن جو القصة وميدانها بلاد العراق وليست مكة.[١]

وفي مقالة أخرى له _ دو بريمير– تحت عنوان : " أراد أن يهدم بيت العبادة " يشتط الكاتب فيقول :" إن كلمة " سجيل" في مواضعها الثلاثة في القرآن تعني مكانا أسطوريا ، يرمي الله من فوقه الحجارة على أعدائه " وبالتالي فالآية بهذه الطريقة يمكن أن تكون استعارة لصورة الحجارة كأدوات لنصر الله ، كما هو مذكور في سفر يشوع ١٠ / ١١.[٢]

المطلب التاسع : علاقة قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل٥] بما قبله:

أولا من حيث الإعراب :

﴿ فَجَعَلَهُمْ ﴾ الفاء عاطفة وجعلهم فعل ماض، والفاعل مستتر يعود على الله تعالى، والهاء مفعول به أول معطوف على (أرسل). وكعصف في موضع المفعول الثاني ومأكول نعت لعصف.[٣] فالآية متعلقة بما قبلها من حيث الإعراب.

١) ينظر فيلة القادسية ص٢٦٧ .

٢) وبالرجوع إلى العهد القديم وجدت العبارة كالتالي : " وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم في منحدر بيت حورون ، رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى عزيقة فماتوا . والذين ماتوا بحجارة البَرَد هم أكثر من الذين قتلهم بنوا إسرائيل بالسيف " . الكتاب المقدس ، سفر يشوع ، إصحاح ١٠ /١١ .

٣) إعراب القرآن وبيانه ٥٨٧/١٠ ، حدائق الروح والريحان ٣٤٣/٣٢.

ثانيا : من حيث المعنى :

أنه لما تسبب عن هذه الحجارة هلاكهم، وكان ذلك بفعل الله تعالى القادر على ما أراد؛ لأنه هو خالق الأثر قطعاً ؛ لأن مثل هذا الحجر لا ينشأ عنه ما نشأ من الهلاك، قال: ﴿ **فَجَعَلَهُمْ** ﴾ أي ربك المحسن إليك بإحسانه إلى قومك لأجلك بذلك

﴿ **كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ**﴾ أي ورق زرع وقع فيه الأكال ، وهذا الإهلاك في كونه عجيبا هو من معاني الاستفهام التقريري في أول السورة، فقد تعانق طرفاها، والتف أخراها بأولاها.[1]

شبهة انفصال الآية الأخيرة عن السورة والرد عليها :

يقول " ألفريد لويس دو بريمير" إن قوله تعالى ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ**﴾ [الفيل٥] فيه نوع انفصال عن بقية السورة ؛ لانتهاء الآيات من ١-٤ بالقافية "يل" بينما الآية الأخيرة منتهية بالقافية " ول" .

وقد بينتُ اتصال الآية الأخيرة بما قبلها من حيث الإعراب وكذلك من حيث المعنى، أما دعوى انفصالها عما قبلها بحجة اختلاف قافيتها (فاصلتها) عن بقية الآيات، فإن المدعِي لم يخبرنا ألهذا الانفصال أثر في المعنى أم في الجرْس أم في غيرهما ؟

ثم إنه ليس من عادة القرآن أن تكون جميع سوره متحدة الفاصلة؛ نعم قد يحدث ذلك في بعض السور القصار، لكنه ليس بلازم في جميع السور، وليس لاختلاف الفاصلة أي أثر يفسد المعنى أو النظم[2] .

١) نظم الدرر ٢٥٨/٢٢ بتصرف.

٢) أحياناً تأتي أواخر الآيات القرآنية متفقة في الوزن وحرف الروي. كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ . قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ**﴾[النازعات: ٦ – ٨]. أو متفقة في الوزن دون الروي. كقوله تعالى:﴿ **وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها**

أما قول المدعِي إن كلمة "مأكول " تنتهي بقافية مخالفة لما قبلها ؛ فهو كلام يفتقر إلى الدقة ؛ لأنه خلط بين القرآن وبين الشعر، فنهاية الآية تسمى فاصلة ولا تسمى قافية لأن الأخيرة تختص بالشعر، قال السيوطي في تعريف الفاصلة: الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع[١] .

وتشبيه السيوطي إنما هو في مجرد الاتفاق في وقوع الكل في أواخر الكلمة لا التشابه في كل شيء .

المراد بالعصف المأكول :

أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ ﴾ :

أولا: معنى العصف.

قال مجاهد: العصف ورق الحنطة. أي: الذي يبقى في الأرض بعد الحصاد وتعصفه الرياح فتأكله المواشي .

وقال قتادة: هو التِّبْنُ الذي تأكله الدواب. لأن الريح تعصف به عند الذرّ؛ فتفرقه عن الحب .

وقال عكرمة: كالْحَبِّ إذا أكل فصار أَجْوَف. أي أُكِل لُبُّه وبقي قشره .

وقال ابن عباس: هو الْقِشْرُ الخارج الَّذِي يكون على حَبِّ الحنطة كهيئة الْغِلَافِ له[٢]

حافِظٌ ﴾ [الطارق: ٢ – ٤] أو متفقة في الرويّ دون الوزن. كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً . جَزاءً وِفاقاً﴾ [النبأ: ٢٥، ٢٦] وقد تأتي اوخر الآيات غير متوافقة لا في الوزن ولا في حرف الروي كقوله تعالى:﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١٠، ١١] .ينظر معجم علوم القرآن لإبراهيم الجرمي ص٢٠٨ .

١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، النوع التاسع والخمسون ٣٣٢/٣، والبرهان في علوم القرآن للزركشي النوع الثالث ٥٦/١ . اللهم إلا أن يعتذر بعدم وجود مرادف الفاصلة القرآنية بالمعنى الاصطلاحي في لغة المدعي .

٢) معالم التنزيل للبغوي ٣٠٩/٥، مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ٣٤٦/٢٩ ، ٢٩٣/٣٢ .

معنى قوله تعالى: ﴿ **مَأْكُولٍ**﴾ : فيه ثلاثة أقوال :

١- أي الذي أُكِل، وهذا الوجه فيه احتمالان:

الاحتمال الأول: أن يكون معناه : كزرع وتبن أكلته الدواب فراثته، فيبس وتفرّقت أجزاؤه، شبَّه تقطُّع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم.قاله مقاتل، وقتادة وعطاء عن ابن عباس.

الاحتمال الثاني: أن يكون التشبيه واقعا بورق الزرع إذا وقع فيه الأُكال، وهو أن يأكله الدود.

٢- أنه جعلهم كزرع قد أُكِل حَبُّه وبقي تِبْنه، ويكون المعنى: كعصف مأكول الحب كما يقال: فلان حسن؛ أي حسن الوجه، فأجرى "مأكول" على العصف من أجل أنه أكل حبه ،لأن هذا المعنى معلوم ، وهذا قول الحسن .

٣- أن يكون معنى "مأكول" أنه مما يؤكل، أي مما تأكله الدواب . يقال: لكل شيء يصلح للأكل هو مأكول، والمعنى: جعلهم كالتبن الذي تأكله الدواب. وهو قول عكرمة والضحاك [١].

رؤية بعض المستشرقين لتفسير الآية :

العصف المأكول صورة منتزعة من العهد القديم .

يرى (ألفريد لويس دو بريمير) أن تصوير جيش الفيل بعد هلاكه بصورة العصف المأكول ؛ هو صورة شائعة – في العهد القديم – لوصف الكافرين حين يغضب الله عليهم ، لذا فهم وقود للنار[٢].

يشير (دو بريمير) بهذا إلى نصين في العهد القديم يقدمان هذه الصورة ، و ادّعى اقتباس القرآن تشبيهه هلاك جيش الفيل منهما ، وهذان النصان هما :

[١]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٦٤/٥ ، جامع البيان للطبري **٦١٥/٢٤** ، مفاتيح الغيب للرازي ٣٢ /٢٩٣ بتصرف في النقل منهم جميعا .

[٢]) ينظر فيلة القادسية ص ٢٦٩ .

النص الأول : من سفر الخروج وهو :

" **وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك ، ترسل عليهم سخطك فيأكلهم كالقش** "[١].

النص الثاني : من سفر أشعياء وهو:

" **ولذلك كما يأكل لهيب النار القش ، ويهبط الحشيش الملتهب ، يكون أصلهم كالعفونة ، ويصعد زهرهم كالغبار ، لأنهم رذلوا شريعة رب الجنود ، واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل** " [٢] .

وفي تفسير هذا النص يقول أحد شارحي الكتاب المقدس تحت عنوان:

تأديب إلهي :

" بسبب الخطايا التي ارتكبها الشعب؛ حَمِيَ غضبُ الرب كلهيب نار يحرق القش ليجعلهم أشبه بالغبار. لقد سمح بتأديبهم بحزم شديد حتى ارتعدت الجبال وصارت جثثهم ملقاة في الأزقة. هنا يعني ما حل بشعب الله خلال الغزو الآشوري العنيف. وسط هذا اللهيب يقول: "**مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد**" **[٢٥]**؛ لا يزال مملوءا حبًا ينتظر عودة الإنسان إليه . [٣]

بين الحقيقة والمجاز :

وبالنظر في النصين السابقين من العهد القديم نجد عدم التشابه بينهما وبين سورة الفيل ؛ ففي سورة الفيل إهلاك جيش أبرهة بحجارة من سجيل ، تحملها جماعات متتابعة من طيور مخصوصة ، وكل ذلك على الحقيقة ، لا مجاز فيه ، إذ لا قرينة تدعو إلى الحمل على المجاز، أما في نصي العهد القديم فلا يعدو الأمر أن يكون مجازا عن غضب الرب ، إذ ليس ثمت نار قد أُرسِلت، ولا قش لتحرقه،

[١]) العهد القديم ، سفر الخروج ٧/١٥ ص ١٠٩ .

[٢]) العهد القديم ، سفر أشعياء ٢٤/٥، ص ٩٥٩ .

[٣]) شرح الكتاب المقدس – للقمص تادرس يعقوب ملطي تفسير سفر إشعياء.

على الحقيقة ، بل هو تشبيه لاشتداد غضب الله عليهم بالنار المحرقة ، وكان هلاك من هلك – كما في النص الثاني – بسبب الغزو الأشوري، والحروبُ أمر يحدث بين الشعوب، فيها نصر وهزيمة، ولا تعدو أن تكون أمرا أرضيا، بخلاف حادثة الفيل فقد كان هلاك جيش الفيل أمرا سماويا خارجا عن قدرة البشر .

المبحث الثاني

شبهات المستشرقين حول سورة قريش والرد عليها .

المطلب الأول : التعريف بالسورة :

أولاً: اسم السورة : تسمى في المصاحف " سورة قريش" وسماها بعض التابعين سورة "لإيلاف قريش" [١].

وقريش: اسم قبيلة، وهم بنو النضر بن كنانة، فمن كان من بني النضر فهو من قريش. فجميع أهل مكة هم قريش. البحر المحيط ٥٤٦/١٠.

وسبب تسمية السورة بهذا الاسم ماذُكِر فيها من أمر الإنعام على قريش بالنعم العظمى مما لم يكن لغيرهم .

ثانيا: زمان نزولها : السورة مكية، في قول الجمهور. ومدنية في قول الضحاك والكلبي[٢] ، ولا يلتفت إلى قول الضحاك والكلبي لمخالفته قول الجمهور.

ثالثا:عدد آياتها: أربع آيات في الكوفي والبصري والشامي ، وخمس في المدنيين والمكي. والخلاف في قوله تعالى ﴿ مِنْ جُوعٍ ﴾ عدها المدنيان والمكي ولم يعدها الباقون.[٣]

رابعا: موضوعها: تضمنت السورة تعداد نعم اللَّه تعالى العظمى على قريش أهل مكة، من جمع الكلمة، وتحقيق الألفة والتئام الشمل بينهم، وتمكينهم من التنقل، وحرية التجارة إلى اليمن شتاء، وإلى الشام صيفا، لتوفير الثروة والغنى. وبيان ما

[١]) وقد مرّ ذلك في الأثر الوارد عن عمرو بن ميمون الأودي في المبحث الأول من هذا البحث ، عند الحديث عن سورة الفيل.

[٢]) القرطبي ٢٠٠/٢٠ .

[٣]) البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ص ٢٩٠ .

هيّأ لهم في البلد الحرام من نعمة الأمن والاطمئنان دون نزاع من أحد[١].

وهي السورة رقم (١٠٦) في ترتيب المصحف الشريف (مصحف عثمان)، وقبلها سورة الفيل وبعدها سورة الماعون .

خامسا: مناسبتها لسورة الفيل: إن بين السورتين من التناسب ما لا يخطئه الناظر، فإنه لما أهلك اللَّه أصحاب الفيل؛ أمنت قريش من تعرض الناس، فمنَّ اللَّه عليهم بذلك[٢] .

سادسا: فضلها: أخرج الطبراني في المعجم الأوسط [٣]، بإسناد حسن عن الزبير بن العوام قال : قال رسول الله ﷺ " **فضّل الله قريشا بسبع خصال، ..... ، وفضّلهم بأنه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيهم غيرهم ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ .... الحديث**"

نص السورة :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤) ﴾

[١]) التفسير المنير للزحيلي ٤١٣/٣٠. بتصرف .

[٢]) ينظر : غاية الأماني من تفسير الكلام الرباني، للكوراني ص٤٤٥.

[٣]) المعجم الأوسط للطبراني ٩ /٧٦ ، ح رقم ٩١٧٣ .

المطلب الثاني : الترتيب النزولي لسورة قريش وشبهة المستشرقين في ذلك.

أما ترتيبها النزولي عند من سلك منهج الترتيب الزماني لسور القرآن – من العلماء المسلمين– كابن النديم في (الفهرست) فالسورة هي السابعة والعشرون [١]، أو التاسعة والعشرون في الأثر الوارد عن جابر بن زيد من التابعين [٢].

تضارب أقوال المستشرقين في ترتيب سورة قريش من حيث النزول :

مجمل أقوالهم :

- "سورة قريش ربما تكون أكثر قدما أو أكثر حداثة في النزول" ، (ريتشارد بيل)[٣].
- " هي ثالث سورة أنزلت " ، (ريجي بلاشير)[٤] .
- "هي الرابعة نزولا" . (تيودور نولدكه[٥] ، شفالي[٦] ، ريتشارد بيل).

١) الفهرست لابن النديم ص٤٤.

٢) البرهان للزركشي ، النوع التاسع معرفة المكي والمدني ١٩٣/١ ، والإتقان للسيوطي النوع السابع معرفة أول ما نزل، ٩٦/١ .

٣) ريتشارد بيل(١٨٧٦م–١٩٥٢م) مستشرق إنجليزي ، له دراسات في اللغة العربية والإسلام . المستشرقون لنجيب العقيقي (٥٢٧/٢).

٤) ريجي بلاشير (١٩٠٠–١٩٧٣) مستشرق فرنسي ، ولد بباريس ، قضى بالمغرب والجزائر دراسته في مدارس فرنسية، حصل على الدكتوراه من جامعة باريس، له مؤلفات عديدة في تاريخ الأدب العربي . وترجمة القرآن .موسوعة المستشرقين ص٨٢.

٥) ثيودور نولكه (١٨٣٦م–١٩٣١ م) شيخ المستشرقين الألمان، كان ذا نشاط دائم ، وذهن لامع ، يتقن من اللغات السامية : العربية والسريانية والعبرية انتقل بين العواصم الأوروبية دارسا ومعلما ، من أشهر مؤلفاته : تاريخ القرآن . موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي ص٤١٧.

٦) فريدريش شفالي (١٨٦٣م - ١٩١٩ م) مستشرق ألماني ، تلميذ نولدكه الأشهر .

- " سورة قريش هي خامس سورة أنزلت ". (ويليام موير)[١] .

وفي مناقشة هذه الأقوال تفصيلا أقول :

إن المستشرقين قد تضاربت أقوالهم واضطربت محاولاتهم لإعادة ترتيب سور القرآن حسب النزول ، وليس لهم فيما ذهبوا إليه دليل معتبر، أو حجة قوية يستندون إليها، وتبعا لهذا؛ فترتيب سورة قريش عندهم له من هذا التضارب نصيب، إذ يرى " ريجي بلاشير" – على الرغم من أنه ليس لديه ما يثق فيه بشأن تاريخ نزول السورة– أنها ثالثة السور نزولا [٢].
وعدّها(ريتشارد بيل)[٣]، و" تيودور نولدكه" وتلميذه "شفالي"[٤] السورة الرابعة .
وقد استند الأخيران إلى جعل نزول القرآن في الفترة المكية ثلاث مراحل ، تتميز أولاهم بنزول سور قصيرة جدا ، تتسم فيها الآيات بالتصوير والإيقاع القوي ، واتباع السجع ، والسورة تنتمي إلى تلك الفترة [٥].
لكن "ريتشارد بيل" بعد إشادته بطريقة " نولدكه" و" شفالي" شكك في إمكانية ترتيب سور القرآن حسب النزول، وذكر أن أفضل ما يمكن فعله هو وضع بعض المبادئ العامة والخطوط العريضة لخطة يمكن أن تتلاءم مع تكوين القرآن ، وأي محاولة لترتيب القرآن زمنيا يجب أن تستند على تحليل دقيق للسور[٦].

[١]) ويليام موير (١٨١٩م –١٩٠٥م) مستشرق ومبشر إجليزي، شديد التعصب للمسيحية ،من كتبه : حياة محمد وتاريخ الإسلام . موسوعة المستشرقين ص٤٠٤ .
[٢]) مقدمة ترجمة القرآن – ريجي بلاشير ص١١،١٢ .
[٣]) Introduction to The Quran, Richard Bill, p. 99,100
[٤]) تاريخ القرآن لثيودور نولدكه ٣٧/١ .
[٥]) دفاع عن القرآن للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص ١١٨ .
[٦]) مقدمة في القرآن لريتشارد بيل ص ١٠٣ .

أقول : بالنسبة للترتيب والتقسيم لسور القرآن الذي أجراه " نولدكه " فإنه يفتقر إلى الدقة طبقا لوصف " نولدكه" نفسه ، الذي ذكر أنه غير مؤكد ، وأنه من المستحيل عمل هذا الترتيب الزمني ، وأن أدلته غير جديرة بالثقة[١] .

أما " ويليام موير " فسورة قريش عنده هي الخامسة في النزول مطلقا. مع اعترافه بعدم النجاح بصورة تامة فيما قصده من ترتيب السور حسب النزول داخل المراحل الخمسة التي جعلها أقساما لنزول القرآن[٢].

وفي المجمل فالترتيب الزماني للسور عمل يحتاج إلى نص موثوق يعتمد عليه كما هو الحال في الترتيب المصحفي (للآيات والسور). غير أن العلماء المسلمين كان منهجهم –بدرجة ما – أضبط وأقرب إلى الصواب في ترتيبهم الزماني للسور، لأنه لَمّا لم يرد في معرفة المكي والمدني –وبالتبع معرفة ترتيب السور بحسب النزول– لَمّا لم يرد فيهما نص عن الرسول ﷺ، ولم يأمر الأمة بوجوب معرفة ذلك ؛ كانت تلك المعرفة راجعة إلى الاجتهاد من الصحابة والتابعين . وقد ظفر العلماء بروايات موقوفة على بعض الصحابة كابن عباس، و مرسلة عن بعض التابعين كعكرمة والحسن بن أبي الحسن وجابر بن زيد ، رتبت القرآن بحسب النزول [٣] .

ومعلوم أن اجتهاد الصحابة في هذا الصدد مقدم على اجتهاد غيرهم ؛ لأنهم عاصروا نزول الوحي ، وشهدوا الأحداث وقت نزول القرآن ، بل كان بعضهم جزءا منها ، ونزل بشأنهم قرآن ، وأما التابعون فقد أخذوا مثل هذه الأمور عن الصحابة .

[١]) ترجمة وقراءة نقدية لتاريخ القرآن لنولدكه. د/رضا محمد الدقيقي ٢٢٦/١ .

[٢]) دفاع عن القرآن ، د عبد الرحمن بدوي، ص١١٨.

[٣]) كما في دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٤٢ – ١٤٤ ، والإتقان للسيوطي ٤٠/١، ٩٦ .

أما من حاول الترتيب الزماني من المستشرقين فلم يعتمد على روايات أو أي من المصادر الإسلامية، بل كان ترتيبهم يعتمد على تخمينات وافتراضات ، أو على مراعاة الأسلوب، أو طول وقصر الآيات والسور، وهي ضوابط تفتقر إلى الدقة وهذا ما دعا بعضهم أحيانا إلى نقض ما يقول في هذا الصدد .

وأدى بهم في النهاية إلى أن يخالف كل منهم الآخر في الترتيب ، والوقوع في الخطأ،

فالمستشرقون ليسوا متفقين على ترتيب واحد ، وكان فشلهم فيه ذريعا [١].

وبالمقارنة بين عمل علماء المسلمين وعمل المستشرقين في هذا الشأن نجد أن الأول أقرب إلى منطق مسار السيرة النبوية من ذلك المنهج الذي وضعه أمثال "نولدكه " وسار عليه " بلاشير" ، ولعل هذا ماجعل " بلاشير" يعدل عنه في الطبعات اللاحقة لكتابه " **ترجمة معاني القرآن**" إذ عاد إلى الترتيب المعمول به في المصحف[٢] .

دعوى أن سورة الفيل وسورة قريش سورة واحدة والرد عليها .

هذه الدعوى تستند إلى أن السورتين كتبتا في مصحف أبيّ بن كعب بلا فصل بينهما بالبسملة كما هو معتاد بين سائر السور، وكذلك لشدة التناسب في موضوع السورتين الذي يشبه إلى حد ما الارتباط بين السبب والمسبب.

أما بالنسبة للأمر الأول – ترتيبهما في مصحف أبيّ – فبالنظر إلى ما نقله السيوطي في الإتقان[٣]عن كتاب المصاحف لابن أشته ؛ فإنه يفيد أن سورة الفيل

[١]) تراجع فشل محاولات ترتيب القرآن زمانيا بتوسع في الفصل العاشر من كتاب دفاع عن القرآن للدكتور عبد الرحمن بدوي .

[٢]) مدخل إلى القرآن الكريم لمحمد عابد الجابري ص٢٤٤ .

[٣]) النوع الثامن عشر، في جمعه وترتيبه ٢٢٢/١ .

تليها مباشرة سورة قريش، وليس ثمت إشعار بأنهما سورة واحدة ، حيث ذكر ترتيب السور واستخدم أداة العطف "ثم" التي للتراخي ، حيث يقول :
"هذا تأليف مصحف أبيّ: الحمدلله ثم البقرة ..... إلى أن يقول: ثم الفيل ثم لإيلاف قريش ثم أرأيت " . وهذا يدل على أنهما في ترتيب مصحف أبيّ ليستا بسورة واحدة.
وذكر الإمام الطبري إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامتان، كلّ واحدة منهما منفصلة عن الأخرى[١].
وردّ الآلوسي على من جعلهما سورة واحدة بقوله : " إنّ جَمْعاً أثبتوا الفصل في مصحف أبيّ ، والمثبِت مقدم على النافي" [٢] .
وعلى فرض أن أُبيّا لم يفصل بينهما بالبسملة ؛ ففعله هذا غير معتبر إزاء ما أجمع عليه الصحابة من كَتْبِهما في المصحف الإمام مفصولا بينهما بالبسملة ، وعَدِّ كل منهما سورة برأسها، وما خالف الإجماع فغير معتدٍّ به .
قال الآلوسي " إنه بعد ثبوت الفصل في مصحف عثمان بالتواتر فلا يحتاج إلى ذكر أدلة أخرى " [٣].
ومما يدل على كونهما سورتين منفصلتين كذلك ما أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط [٤]، بإسناد حسن عن الزبير بن العوام قال : قال رسول الله ﷺ" **فضّل الله قريشا بسبع خصال، ..... ، وفضّلهم بأنه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيهم غيرهم ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ .... الحديث**" .

[١]) جامع البيان ٦٢١/٢٤.
[٢]) روح المعاني ٤٧٠/١٥ .
[٣]) روح المعاني في الموضع السابق .
[٤]) تقدم تخريجه عند الحديث عن فضل السورة ، في المطلب الأول من المبحث الثاني.

وقد ردّ السيوطي بهذا الحديث قول من جعلهما سورة واحدة [١] .
وكذلك فإن آيات سورة قريش ليست على نمط آيات سورة الفيل[٢].
ولعل من جعلهما سورة واحدة نظر إلى وجود مناسبة بين السورتين من حيث الموضوع ، لكن وجود مناسبة بين سورتين لا يجعلهما سورة واحدة ، فكم من مناسبة بين سورة والتي قبلها أو التي تليها، ولايجعلهما هذا التناسب سورة واحدة ، والقرآن كله قائم على التناسب بين سوره وآياته ، وهذا مما لا يخفى على مدقق.

المطلب الثالث: هل الآية الأولى من سورة قريش مخالفة قواعدَ النحو ؟

يزعم " باول نيو إنكيرشن" أن قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ [قريش ١] خالف قواعد النحو لابتدائه بلام التعليل .
وهذه جرأة عجيبة أن يوصف القرآن – الذي نزل بلسان عربي مبين – بمخالفة قواعد النحو ، ويكتشف هذه المخالفة هؤلاء الأعاجم، ولا يكتشفها أهل اللسن والفصاحة ، أفصح العرب ، الذين كانوا أحرص الناس على الظفر بمطعن في القرآن الكريم وقت نزوله من مشركي قريش وغيرهم .

ولنر أولا توجيهات العلماء لهذه اللام :

لعلماء النحو في توجيه هذه الآية توجيهات عدة ؛ منها :

الأول : أنها متصلة بسورة الفيل قبلها، من باب تعداد النعم على قريش أولا بما صنعه بالحبشة ، وثانية باستمرار نعمته عليهم في رحلة الشتاء والصيف ، فهي

[١]) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٢٨/١ ، النوع التاسع عشر. الحديث الذي استشهد به السيوطي أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٨٤/٢ ح ٣٩٧٥ ، من حديث أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها ، ضعفه الذهبي ، لكن له شاهد بإسناد حسن أخرجه الطبراني في الأوسط، وهو المتقدم تخريجه آنفا .

[٢]) روح المعاني ٤٧٠/١٥ .

نعمة تضاف إلى نعمة قبلها .

الثاني : أن اللام متعلقة بفعل محذوف؛ الغرض منه التعجب كأنه قيل : اعجبوا لنعم الله تعالى على قريش، فهو يؤلف شملهم ويدفع عنهم الآفات وهم يزدادون غيّا وجهلا.[١] وهذان التوجيهان ذكرهما الفراء في معاني القرآن[٢]، واحتج النحاس للتوجيه الثاني بقول العرب لله أبوك[٣] ، فالعرب تقول تعجبا : لله أنت من رجل ، أي في جميع الكمالات ، ولله دره فارسا، أي ما أعجب فعله[٤] ، فهم يقصدون التعجب بزيادة اللام[٥]، فاللام متعلقة بمحذوف ، أي إن عجبت فاعجب لكذا ، ومن هذا القبيل قول أبي العلاء المعري في اللزوميات :

لأمواه الشبيبة كيف غِضَنه وروضات الصبا كاليبس إضْنَه

أي أعجب لأمواه الشبيبة[٦] .

فلا غضاضة في بدء الآية بقوله ﴿لِإِيلَافِ﴾ ، وادعاء مخالفتها قواعد النحو عدم معرفة بتلك القواعد .

وجعل الخليل بن أحمد وسيبويه اللام في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ﴾ متعلقة بقوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ كأنه قيل : لأن الله آلف قريشا إيلافا فليعبدوا... [٧] ، ودخول الفاء

[١]) مفاتيح الغيب للرازي ٢٩٤/٣٢ .

[٢]) معاني القرآن للفراء ٢٩٣/٣ .

[٣]) إعراب القرآن للنحاس ١٨٤/٥ .

[٤]) شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ٦٢٣/١.

[٥]) اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ٣٧٥/١ .

[٦]) اللزوميات لأبي العلاء المعري ٣٥٧/٢ ، والموسوعة القرآنية لجعفر شرف الدين ٢١٧/١٢ ، والمعنى : أعجب لأمواه الشباب كيف غاضت وذهبت بعد أن كانت جارية ، ولرياض الصِّبا الخضراء كيف صارت بعد نضارتها كالشجر اليابس .

[٧]) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ٨٤٥/٢ .

في قوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ لما في الكلام من معنى الشرط ؛ كأنه قيل : إن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة.

وهو ما يُرَدُّ به على (نيو إنكيرشن) في أن في الآية الأولى مخالفة لقواعد النحو.

التوجيه الثالث : أن بداية سورة قريش متعلقة بقوله في سورة الفيل ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [٥] أو بما قبله من أفعال في السورة، والمعنى أن الله تعالى فعل ما فعل بأصحاب الفيل لإيلاف قريش [١].

هل يرغب كثير من مفسري المسلمين في جعل الآية الأولى من سورة قريش هي الأخيرة في سورة الفيل ؟

ادعى " نيو إنكيرشن" أن مفسري المسلمين كانوا يرغبون أن تكون الآية الأولى من سورة قريش أخيرةً في سورة الفيل.

وهذا من أعاجيبه؛ إذ لم يقل لنا مَن مِن المفسرين كانت لديه هذه الرغبة، وهل هو من اكتشف هذا الأمر أو نقله عن غيره ؟ فليُسمِّ من نقل عنه .

والحق أن أحدا من المفسرين لم يكن كذلك، ولا وجود لهذا الزعم إلا في خيال صاحبه.

والحال أنه لشدة اتصال السورتين افتتحت سورة قريش بحرف التعليل ، فصار المعنى: أن الله تعالى فعل ما فعله بأصحاب الفيل لأجل إيلاف قريش.

وكثير من سور القرآن يوجد اتصال– من حيث المعنى– بين خواتمها وفواتح ما بعدها، والعكس، ولم يقل أحد بجعل ما هذا حاله سورة واحدة .

وكثير من المفسرين وجهوا وجود اللام في أول سورة قريش هذا التوجيه ، ولم يقل أحد عنهم إنهم كانوا يرغبون في أن تكون الآية الأولى من سورة قريش أخيرةً في سورة الفيل.

[١]) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٥١٤ .

ولكنه إلحاح كثير من المستشرقين على فكرة التدخل البشري في القرآن تقديما وتأخيرا ، حذفا وإثباتا.

المطلب الرابع : هل تم تغيير ترتيب آيات سورة قريش ؟

يقول " باول نيو إنكيرشن" أن الخليل بن أحمد وسيبويه – توصُّلاً منهما لإعطاء معنى للآية الأولى من سورة قريش منفصلة عن سورة الفيل– قاما بعكس ترتيب الآيات فوضعا الآية الثالثة من سورة قريش مكان الأولى وهذه مكان الثالثة ، فكان المعنى : فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش .

وكلامه هذا يوهم تصرف البشر في القرآن والعبث به .

والحق أن ما فعله إماما النحو واللغة ليس عكسا لترتيب الآيات حرفيا ؛ وإنما هو توجيه لمعنى الآيات طبقا لما تحتمله القواعد النحوية، وهو ما يعرف اصطلاحا بالتقدير ؛ وهو تغيير في نسق الكلام تقديما وتأخيرا ، حذفا وإضافة بغرض توضيح المعنى وتوجيهه إعرابيا، مع المحافظة على النص الأصلي وعدم المساس به ، وهو عمل شائع لدى النحويين، والمفسرين وغيرهم.

خطأ متعمد في توجيه قراءة منسوبة إلى ابن مسعود وعكرمة.

يرى الباحث " باول نيو إنكيرشن " أن القراءة المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود وعكرمة – مع كونه قد أخطأ في عد عكرمة التابعي من جملة الصحابة – هذه القراءة اللام فيها بمعنى التعجب ويكون المعنى – كما قال – لتآلف قريش .

نعم ؛ اللام على أحد التوجيهات للقراءة المتواترة تفيد التعجب كما بينت في التوجيه الثاني[١] ، لكن " نيو إنكيرشن" أخطأ فيما قال ، وبيان ذلك كالآتي : بالرجوع إلى مختصر ابن خالويه في شواذ القراءات[٢] ، ومعجم القراءات القرآنية[٣] القرآنية[٣] فإن القراءات المنسوبة إلى عكرمة هي:

١) راجع دعوى مخالفة الآية الأولى من سورة قريش قواعد النحو .

٢) ص ١٨١ .

٣) للدكتور عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر ص ٢٤٤/٨ .

١- (لِيَالَف قريش) بكسر اللام الأولى وفتحها بعدها مثناة تحتية ، وكذلك قرأ بها ابن مسعود.

٢- (لَيالَف) بفتح اللامين بينهما مثناة تحتية ، قال ابن خالويه : " بفتح اللام على الأمر " ونقل عن شيخه ابن مجاهد أن بني سليم وقبيلة عكل يفتحون لام الأمر[١].

٣- (لَتَأَلف)[٢] بفتح اللامين ومثناة من فوق، وفي معجم القراءات القرآنية بكسر اللام الأولى [٣].

وعليه فالقراءتان ؛ الثانية والثالثة خارجتان عن مجال المناقشة لتصريح ابن خالويه بأن اللام فيهما لام الأمر، أما القراءة الأولى : (لِيَأَلَف قريش) فهي مضبوطة في كتاب ابن خالويه بكسر اللام الأولى فمثناة تحتية وتسهيل الهمزة ثم لام مفتوحة . وليست بالتاء الفوقية كما زعم "باول" نقلا عن "بلاشير" وآخرين. فإذا كانت اللام للتعجب كما تمحّلوا فكيف يستقيم دخولها على الفعل المضارع (يألف) بالتحتية أو (تألف) بالفوقية كما في معجم القراءات القرآنية ؟ وكيف يستقيم الكلام إذاً ؟

والحق أن الأمر لا يعدو أن يكون خبطا وجهلا باللغة من " نيو إنكيرشن".

ولعمري لِمَ اللجوء إلى القراءات الغير الثابتة ، والاحتفاء بها ، وبمن نسبت إليهم – مع كامل التوقير منا لهم– ثم الاستشهاد بها وجعلها في مصاف المتواترة سواء بسواء ، مع عدم كونها قرآنا بالإجماع .

إنه لأمر يكشف عن مدى المغالطات المنهجية التي ينبو عنها التحقيق العلمي.

[١]) قال ابن مالك : وفتح اللام مع الفعل لغة عكل وبلعنبر. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (١٤٥/١) باب حروف الجر خلا المستثنى بها .

[٢]) مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه في الموضع السابق .

[٣]) معجم القراءات القرآنية قي الموضع السابق.

أليس في المصاحف التي تواتر رسمها وضبطها ، وفي القراءات المتواترة كذلك الغُنية لكل باحث منصف ؟

كلمة " إيلاف " لفظ غامض

زعم " باول " أن لفظ " إيلاف" لفظ غامض ،ثم ذكر أن هناك حيرة في تفسير هذا اللفظ ، استدعت قيام بعض الباحثين باقتراح فرضيات لشرحه ، من هؤلاء الباحثين من أوجد علاقة بينه وبين الجذر المقابل له في السريانية ، والذي يشتق منه لفظ:

" أ ل ا ف" بمعنى السفينة، تماشيا مع سياق الآية بعدها التي تتحدث عن الرحلة[1]

أقول : يشير " باول" إلى مقالة لـ " منذر يونس " عن سورة "قريش" مفادها أن الجذر " أ ل ف" في اللغة السريانية – اشتقت منه كلمة " إيلاف " بمعنى " السفينة" وأن هناك سببا وجيها للاعتقاد أن اللفظ يستخدم في سياق رحلة في الشتاء والصيف، وتوفير الطعام والحماية من الخوف " الغرق مثلا" ، وبما أن نفس الجذر موجود في العربية فيجب أن يفهم أن كلمة " إيلاف" العربية تشير إلى سفينة .اهـ .

هكذا تؤخذ الأمور، عند بعض المستشرقين، ومن يرى رأيهم، بمجرد التشابه في الجذر اللغوي، حتى وإن اختلف المعنيان وتباعدا بُعد المشرق عن المغرب؛ يحكمون على القرآن بأنه تأثر بغيره من اللغات ، ويسوقون مثل هذه الأحكام على أنها نظريات علمية محترمة .

ثم يحيل "باول " إلى موضع في التلمود ذكر فيه اللفظ الآرامي "ايلفا" مسبوقا بحرف الجر "ل" ومعنى الكلمة " ويل للسفينة".

[1]) ينظر كتاب ندوة حول القرآن ص ٤٤٢ .

وبالرجوع إلى ما أحال عليه من التلمود . لم أجد تلك العبارة التي ذكرها وهي :" ويل للسفينة" ، لكن وجدت فقط كلمة " سفينة " وردت في سياق الجملة التالية : " من يترك خمره في عربة أو سفينة ، ثم ذهب في طريق مختصر ، ودخل المدينة واستحم ..... الخ " [1].

فما علاقة هذه الجملة بما نحن فيه؟

وهل مجرد اتفاق كلمتين– في لغتين مختلفتين – في النطق الصوتي، مع اختلاف معناهما ، يوجب أخذ إحدى اللغتين من الأخرى ؟ إنه التعسف في إثبات أمر في خيال المدعِي دون أن يكون له وجود في الخارج .

المطلب الخامس : هل حذف من السورة كلام فيه إساءة لقريش كما يزعم " باول نيو إنكيرشن" ؟

أما سؤال " باول نيو إنكيرشن" عما إذا كان المقصود بالآية الأولى من سورة قريش " لعنة" على شاكلة "ويل لسفينة قريش" بافتراض أن "لإيلاف قريش" هي "ويل لإيلاف قريش" ، لكن محرّري المصحف حذفوا كلمة" ويل" من بداية السورة لأن فيها إساءة لـ " قريش" قبيلة النبي ﷺ وأشهر أصحابه.

ثم يحاول تثبيت فرضية وجود كلمة "ويل لقريش" قبل أن تحذف بأمرين :

الأول : قرب سورة قريش من سورة الهمزة المفتتحة بكلمة " ويل " .

الثاني : قراءة " ويل لكم سفينة قريش " التي كانت – بزعمه – موجودة ثم حذفت كلمة "ويل" بواسطة كُتّاب المصحف ، على اعتبار أنها تسيئ الى قريش تلك القبيلة العريقة ، ذات المنزلة المرموقة بين العرب، والتي ينتسب إليها النبي ﷺ

[1]) ينظر ترجمة متن التلمود "المشنا" القسم الرابع نزيقين "الأضرار" المبحث الثامن ، عفوداه زاراه "عبادة الاوثان" ترجمة وتعليق د/ مصطفى عبد المعبود ص٢٨٢-٢٩٧ .

وأشهر أصحابه ؛ فصارت الآية "لإيلاف قريش ". وهو بهذا يشير إلى تصرُّف كُتّاب المصحف بالحذف أو الإضافة حسب مقتضى الحال .

وبالرجوع إلى معجم القراءات " لمكرم وعمر " الذي كانت الإحالة عليه لم أجد نص القراءة المزعومة ، لكن وجدت قراءة منسوبة إلى النبي ﷺ نصها : " **ويل امكم قريش**" [1]. وهذه القراءة المنسوبة إلى النبي ﷺ لم تثبت قرآنيتها لأنها لم تتواتر عنه ﷺ، فدعوى حذفها وما يشبهها مما يسئ إلى قريش من القرآن الكريم ؛ دعوى ساقطة لم يقم دليل على صحتها .

وهنا سؤال ؛ ألم يكن من الأولى حذف كل ما فيه عتاب للنبي ﷺ، مما هو في القرآن الكريم؟ على اعتبار أن فيه إساءة إليه ، ولو بدرجة ما .

وبناء على ماسبق فهناك أمران تجدر الإشارة إليهما :

أولا : ما نقله "باول" عن " دو بريمير" من استشهاد بسفر أعمال الرسل _ الإصحاح السابع والعشرين– الذي يتحدث عن رحلة في الشتاء يتجلى فيها التوكل على الله ، والإشارة إلى أن الله أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، والربط بين كل ذلك وبين سورة قريش؛ مما يؤدي إلى اعتبار سورة قريش نوعا من (المدراش القرآني) أي التفسير القرآني للعهد الجديد ، أو هي موعظة تعتمد على ما في الإصحاح السابع والعشرين من سفر أعمال الرسل ، فهذا الكلام كسابقه ؛ الغرض منه اتهام القرآن بالاقتباس أو التأثر بالعهدين القديم والجديد .

وبالنظر فيما أحال عليه " دو بريمير" وهو سفر أعمال الرسل فإن الإصحاح السابع والعشرين منه يحكي عن رحلة لبولس وآخرين ، لكن يختلف مضمونه عن سورة قريش ، وهاتان جملتان من بداية الإصحاح :

[1]) معجم القراءات القرآنية للدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبد العال سالم مكرم ٢٤٤/٨ ، وذكرها ابن خالويه في الشواذ (١٨٠) .

١- فلما استقر الرأي أن نسافر في البحر إلى إيطاليا، سلموا بولس وأسرى آخرين إلى قائد مئة من كتيبة أوغسطوس اسمه يوليوس .

٢- فصعدنا إلى سفينة أدراميتينية وأقلعنا مزمعين أن نسافر مارين بالمواضع التي في آسيا ، وكان معنا ارسترخس ، رجل مكدوني من تسالونيكي[١].

وفي بقية الإصحاح : أثناء الرحلة هاجت عليهم ريح عاتية استمرت أياما، وفقدوا الأمل في النجاة، وأكثَرَ الناسُ من الصوم تَقَرُّبا، فبينما هم كذلك بشّرهم بولس بالنجاة ، وبعد أربعة عشر يوما من الصيام أمرهم بولس أن يتناولوا الطعام ، ولما اقتربوا من البر؛ حطمت الريح والأمواج مؤخر السفينة؛ فأمرهم بولس أن من يقدر على السباحة يطرح نفسه، والباقون على ألواح من السفينة ، فنجوا جميعا إلى البر .

وفيما يلي مقارنة بين الرحلتين :

رحلة بولس	رحلة قريش
رحلة بولس كانت لأفراد سجناء وأسرى (بولس ولوقا وآخرين) إلى روما	كانت قافلة تجارية
كانت إلى وجهة واحدة ، وفي مدة زمنية واحدة (روما ، في فصل الشتاء)	كانت لوجهتين (اليمن والشام) وفي فصلين (الشتاء والصيف)
كانت لمرة واحدة وفي اتجاه واحد (ذهابا فقط)	متكررة كل عام مرتين لمدة طويلة ذهابا وعودة
رحلة بحرية	رحلة برية
اضطرارية	اختيارية
أفراد الرحلة كانوا : كتابيين ، ووثنيين	كانوا وثنيين

[١]) العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل ، الإصحاح السابع والعشرون ص٢٤٥ .

وهناك أيضا فرق بين النصين يثبت أن لا علاقة بينهما :

فالإصحاح السابع والعشرون من سفر أعمال الرسل يتكون من ثلاثة وأربعين فقرة (أو آية) ، الواحدة منها تقارب أو تفوق سورة قريش بأكملها، فالسفر يحكي القصة في أكثر من أربعين ضعفا من سورة قريش، بينما سورة قريش مكونة من سطرين اثنين في المصحف.

وأما أن هناك إشارة مشتركة بين النصين وهي أن الله أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، كما يدعي " باول" أو "دي بيرمير" فهذا أمر غير صحيح ، لأن جوع بولس ومن معه كان اختياريا ، حيث كانوا صائمين لمدة أربعة عشر يوما، بنية القربة ، وتناولهم الطعام كان قطعا لهذا الصوم ، حيث أمر بولس كل من معه بتناول الطعام[1] ، وأما جوع قريش فكان بسبب طبيعة مكة فهي ليست بأرض زرع ؛ ولا خصب، ما يترتب عليه مرورهم بفترات جدب وقحط وشظف في العيش ، وإطعامهم كان بتوفيق الله لهم في رحلتهم كل عام _ صيفا وشتاءً – إلى الشام واليمن .

وأما تأمينهم من الخوف فكان لبولس ومن معه في الرحلة وذلك في مرحلة منها ، أما أمن قريش من الخوف فكان في جميع حياتهم ، وفي ظعنهم وإقامتهم ، فلا تُغِير عليهم قبيلة أخرى ، ولا يُفزّعون، لا في سفر ولا في حضر ، فكان هذا من خصائص قريش دون قبائل العرب .

أبعد هذا التباين بين الحالين يزعم الزاعمون أن لسورة قريش اعتماداً على مافي العهد الجديد وتأثراً به ؟

[1]) سفر أعمال الرسل، إصحاح ٢٧ /٣٣-٣٦ .

الزعم أن العلاقة بين آيات السورة غير واضحة ، وتم إضافة أداة ربط لإيجاد العلاقة !!

قسّم (باول) سورة قريش إلى قسمين ، أولهما الآية الأولى والثانية ، والقسم الثاني الآيتان الثالثة والرابعة، وزعم أن العلاقة بين القسمين غير واضحة من حيث المعنى، ولا يَستبعِد أن يكون قِسْما السورةِ– بهذه الطريقة– منفصلين ؛ تم ربطهما بالفاء في ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ .

والحق أن آيات القرآن وسوره قائمة على التناسب والاتصال فيما بينها ، فأي سورة –طالت أو قصرت – في تناسب آياتها كأنها آية واحدة ، وسورة قريش من هذا القبيل .

وعن العلاقة بين آيات السورة يقول البقاعي :

" ولما كان هذا التدبير لهم –يقصد ما كان من أمر الرحلتين – كافيا لهمومهم الظاهرة بالغنى والباطنة بالأمن ، وكان شكر المنعم واجبا؛ فإذا أنعم بما يفرغ المنعَم عليه للشكر؛ كان وجوبه عليه أعظم ، سبَّب عن الإنعام عليهم بذلك قوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ أي قريش على سبيل الوجوب شكرا على هذه النعمة خاصة إن لم يشكروه على جميع نعمه التي لا تحصى " [1].

فدخول الفاء هنا لما في الكلام من معنى الشرط ، أي: إن لم يعبدوه لسائر نعمه ؛ فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة[2]. فهو من مقتضيات الكلام؛ لا أنه تصرُّفٌ من كُتّاب المصحف لإيجاد العلاقة بين الآيات كما يوهم كلامه.

[1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٦٦/٢٢ .

[2]) الكشاف ٨٠١/٤ ، البحر المحيط ٥٤٨/١٠ .

المطلب السادس: المراد بالرب والبيت في سورة قريش في زعم " دو بريمير "

١- يزعم " دو بريمير " دون دليل –كعادته في عدم إقامة الدليل على ما يقول – أن ليس في سورة قريش ما يشير إلى أن لفظ "رب " يقصد به الله تعالى، وأنه لا دليل كذلك على أن البيت يقصد به الكعبة ، وأن قوله تعالى﴿رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ هو تعبير موجود في نقوش ما قبل الإسلام ، في أماكن متفرقة بالجزيرة العربية ، وجدت في معابد يتوجه بهذه العبارة إلى إله يدعوه "دو بريمير" ذو الشارة "[١] .

٢- يخلص " باول نيو إنكيرشن" بعد ذكر ما سبق إلى أنه لا يستبعد أن يكون في سورة قريش نص من تلك النقوش الموجودة قبل الإسلام ، ثم يسأل : ما سبب إدراج هذا النص في القرآن ؟

وللرد على النقطة الأولى أقول :

أ) إنه مما لا ينازع فيه عند المخاطبين بسورة الفيل و سورة قريش وقت نزولهما أن كلمة "رب " حين تضاف إلى ضمير المخاطب "ك" كما في سورة الفيل ، أو تضاف إلى "البيت" كما في سورة قريش فإنه يراد بها " الله " جل جلاله ، وهذا معلوم بالضرورة لكل من يعقل الخطاب وقت نزول القرآن . والدليل على ذلك ما ذكرته كتب السيرة من كلام العرب ، فحين يريد أحدهم تأكيد كلامه فإنه يوثقه بالقسم فيقول : "ورب البيت "[٢] ، أو " ورب هذا البيت" [٣] يقصد الكعبة ، أو " ورب هذه البَنِيَّة " بنفس المعنى أيضا[٤]، وهذه عندهم من الأيمان المغلظة لأنهم يقسمون بمعظّم

[١]) فيلة القادسية ٢٦٣ .

[٢]) أعلام النبوة للماوردي ١٩٦/١ .

[٣]) دلائل النبوة للبيهقي ١٩٦/٢ .

[٤]) السيرة الحلبية ١٢/١ .

عندهم ألا وهو الله سبحانه وتعالى، والكعبة التي اكتسبت التعظيم من إضافتها إلى مُعظَّم.

ب) العرب في جاهليتهم كانوا يعلمون أن هذا البيت الذي هو الكعبة هو " بيت الله " تعالى ولم يكن يطلق ذلك الوصف على غيره ، وقد نقل ذلك الوصف في خبر الملك " تُبَّع" مع الكعبة حين أراد هدمها فقيل له : " **ذلك بيت الله الحرام ، ومن أراده هلك** " فكَفَّ عنه [١]. فكيف يقال إن المراد بيت بناه ذو الشارة ؟

ت) وحين يذكر ربيعة بن أبي الصلت ما حدث للفيل وينسبه إلى الله تعالى فكلامه يتفق مع ما ورد في سورة الفيل ، ولا يحتاج الأمر إلى النص في السورة على أن المراد بالرب هو "الله" تعالى ، لأن ذلك معلوم للكافة . يقول ربيعة :

إن آيات ربنا بينات ... ما يماري فيهن إلا الكفور
حَبَسَ الفيلَ بالمُغَمَّس حتى ... ظَلَّ يحبو كأنه معقور
واضعا حلقة الجِرَان كما قُطّ ... صخر من كَبكَب محدور [٢]

أما النقطة الثانية وهي ادعاؤه أن في في سورة قريش نصا يعود إلى ما قبل الإسلام ، ويسأل المدعِي : لأي سبب أدرج هذا النص في القرآن ؟
فالجواب هو أن ما بنيت عليه الدعوى باطل ، فتبطل الدعوى ، فليس مجرد وجود كلمات متناثرة هنا أو هناك ، نقشت على حجر أو كتبت في رَقٍّ ، وكان

[١]) دلائل النبوة للبيهقي ١١٦/١.
[٢]) وتنسب الأبيات أيضا لأمية بن أبي الصلت، ينظر قصة الأدب في الحجاز ص ٤٩٧ .

بها أدنى تشابه مع كلمات في القرآن؛ دلالة على اقتباس القرآن من هذه الكلمات ، أو تأثره بشيء منها .

والمعلوم تاريخيا أن من بدأ بناء البيت الذي هو الكعبة –كما تقدم– هم الملائكة أو آدم عليه السلام ثم رفع إبراهيم قواعده ، ثم جُدِّد بناؤه بعد ذلك مرات [١].

وذكر الماوردي أن أول من جَدّد بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم عليه السلام هو قصيّ بن كلاب ، وسَقَفَها بخشب الدوم وجريد النخل [٢] .

[١]) تاريخ مكة المشرفة والبلد الحرام لابن الضياء ١١٤ .

[٢]) الأحكام السلطانية للماوردي ص١٦٠ .

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في أرجاء هذا البحث وفق الله تعالى إلى نتائج ؛ أهمها :

- هشاشة الشبهات والافتراءات التي يثيرها المستشرقون فيما يتعلق بالقرآن وتفسيره
- إهمال كثير من المستشرقين الرجوع إلى المصادر العربية والإسلامية عند دراسة القرآن الكريم.
- بناء أحكامهم على فرضيات تخمينية لا على البحث العلمي المنهجي.
- سورة الفيل في شأن قصة أبرهة وليست في غيرها .
- الطير الأبابيل حقيقة ليست أسطورة .
- الآية الأخيرة من سورة الفيل جزء أصيل من السورة غير منفصلة عنها.
- سورة الفيل وقريش سورتان منفصلتان وليستا سورة واحدة.
- ليس في سورة قريش مخالفة لقواعد النحو .
- لم يحذف من سورة قريش كلام كان فيه إساءة لقبيلة قريش .
- رحلة الشتاء والصيف في سورة قريش لا علاقة لها بالرحلة التي في سفر أعمال الرسل من قريب أو بعيد.
- لا علاقة لسورة الفيل وقريش بالعهدين القديم والجديد.
- كثير من المستشرقين يهملون الاعتماد على المصادر العربية والإسلامية.

والله تعالى من وراء القصد، وله الحمد في الأولى والآخرة.

فهرس المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : كتب التفسير ، والقراءات ، وعلوم القرآن :

١-الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢-إعراب القرآن ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ .

٣- الانتصار لنقل القرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) ، تحقيق: د. محمد عصام القضاة ،الناشر: دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

٤-أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

٥-البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر دار الفكر – بيروت ، ١٤٢٠ هـ .

٦-البرهان في علوم القرآن ،أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ،الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي .
٧-تاريخ القرآن ، تيودر نولدكه ، تعديل فريدريش شفالي ، نشر : دار نشر جورج ألمز ، هيلدسهايم- زيوريخ . ت ن ٢٠٠٠ م .
٨-ترجمة معاني القرآن الكريم للبروفيسور عبد الله يوسف علي ص١٧٩٦. نشر دار المعرفة بيروت- لبنان ، (د ت ن) ، (د ط) .
٩-التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) الدكتور عبد الله الخالدي ،الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .
١٠-التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ .
١١-تفسير جزء "عم" للشيخ محمد عبده، طبع مطبعة مصر ، الطبعة الثالثة ١٣٤١هـ.
١٢- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) ،المحقق: د. مجدي باسلوم ،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
١٣- تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

١٤-جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
١٥-الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ) ،المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت ، الناشر: دار الشروق - بيروت ، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ .
١٦-دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، د عبد الرحمن بدوي ، ترجمة كمال جاد الله ، نشر الدار العالمية للكتب والنشر ، ضمن سلسلة : نافذة على الغرب ، (د ت).
١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
١٨- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ .
١٩- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) ، ط مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة ، ١٢٨٥ هـ .
٢٠-فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) . الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .
٢١-الكشف والبيان عن تفسير القرآن ،أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق:

الأستاذ نظير الساعدي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م .
٢٢–الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
٢٣–مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه ، تحقيق آرثر جيفري ، نشر مكتبة المتنبي– القاهرة ،(د ت) .
٢٤–مدخل إلى القرآن الكريم ، د محمد عابد الجابري ، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .
٢٥–مشكل إعراب القرآن ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) ، المحقق: د. حاتم صالح الضامن ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.
٢٦– مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .
٢٧– معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
٢٨–معانى القرآن للأخفش ، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ) ، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م.

٢٩-معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) ، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي ، الناشر: عالم الكتب – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
٣٠-معاني القرآن . أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) . المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر . الطبعة: الأولى (د ت) .
٣١-معجم القراءات القرآنية للدكتور عبد العال سالم مكرم ، والدكتور أحمد مختار عمر ، مطبوعات جامعة الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .
٣٢-الموسوعة القرآنية، خصائص السور. جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ.
٣٣-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ت) .
٣٤-النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، (د ت) .

ثالثا : الحديث وعلومه :

١-الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ،ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج

أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢-سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ،المحقق: بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ١٩٩٨ م .

٣-السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، المحقق: محمد عبد القادر عطا ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٤-صحيح البخاري أو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٥-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (د ت) ، الطبعة : (د ط) .

٦-فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب .

٧-المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع

(المتوفى: ٤٠٥هـ) ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠ م .

٨-مسند أبي يعلى ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) ، المحقق: حسين سليم أسد ،الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٩-مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

١٠- المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة ، (د ت).

١١- المعجم الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية ، (د ت) .

رابعا: كتب العقيدة والملل :

١-الأدب الفلسفي الحِكَمي ، أحيقار ، سفر المكابيين الثالث والرابع ، للخوري بولس الفغالي ، طبع مؤسسة دكاش للطباعة، بيروت – لبنان. ط أولى ٢٠٠١م .

٢-ترجمة متن التلمود "المشنا" القسم الرابع نزيقين "الأضرار" المبحث الثامن ، عفوداه زاراه "عبادة الاوثان" ترجمة وتعليق د/ مصطفى عبد المعبود ،نشر مكتبة النافذة ،الجيزة –مصر ط الأولى ٢٠٠٧م .

٣-شرح سفر أشعياء مفصلا آية آية ، لناشد حنا ، طبع مطبعة الإخوة ، شبرا القاهرة ، ط رابعة ٢٠٠٩ م .

٤-شرح الكتاب المقدس للقمص تادرس يعقوب ملطي ، تفسير سفر أشعياء ، الناشر : كنيسة مار جرجس باسبورتنج ، طبع مطبعة الأنبا رويس ، العباسية ، القاهرة ، الطبعة الأولى إبريل ١٩٩٠م .

خامسا : كتب النحو والصرف:

١-شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٢-شرح شافية ابن الحاجب ، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي عام ١٠٩٣ من الهجرة ، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ) ، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، محمد الزفزاف – المدرس في كلية اللغة العربية حمد محيى الدين عبد الحميد – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٣-شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٩هـ) ،المحقق: نواف بن جزاء الحارثي ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق)، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.

سادسا: كتب اللغة والمعاجم :

١- أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية، (د ت).

٣- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

٤- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) ، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني- د يوسف محمد عبد الله الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر ، (دمشق – سورية) الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

٥- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال ، (دن) ، (د ط) .

٦- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ،الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٧- مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ) ، المحقق: محمد فواد سزگين ،الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة ،الطبعة: ١٣٨١ هـ.

٨- مجمل اللغة لابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٩- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)،المحقق: محمد سيد كيلاني الناشر : دار المعرفة بيروت،لبنان(د ن) .

١٠- المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] ، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

١١- معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ .

١٢- المورد الكبير ، معجم إنجليزي عربي ، لمنير البعلبكي، نشر دار العلم للملايين ، بيروت– لبنان . الطبعة الخامسة والعشرون ١٩٩١م .

سابعا: كتب السيرة والشمائل :

١- أعلام النبوة ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤٠٩ هـ .

٢- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ .

٣- السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ) ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية – ١٤٢٧هـ .

ثامنا : كتب التراجم :

١- الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ، الناشر: دار البشير، طنطا ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ .

تاسعا: كتب التاريخ :

١- البدء والتاريخ ، المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ) الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ، (د ت) ، (د ط) .

٢- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الآلوسي ط مطبعة دار السلام بغداد – العراق ط أولى ، ١٣١٤هـ .

٣- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، الناشر: دار التراث – بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ .

٤- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي، بهاء الدين أبو البقاء، المعروف بابن الضياء (المتوفى: ٨٥٤هـ) ، المحقق: علاء إبراهيم، أيمن نصر ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٥- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

عاشرا: كتب الأدب والشعر:

١- الحيوان ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ .

٢- قصة الأدب في الحجاز ، عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجى ،الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية . (د ط) .

٣- اللزوميات لأبي العلاء المعري تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي ، نشر مكتبة الهلال بيروت ومكتبة الخانجي القاهرة ، (د ت) .

حادي عشر : كتب السياسة الشرعية:

١- الأحكام السلطانية ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ،الناشر: دار الحديث – القاهرة . (د ت) .

ثاني عشر : كتب الفهارس والأدلة :

١- الفهرست ، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) ، المحقق: إبراهيم رمضان ،الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ مـ.

المراجع الأجنبية :

- Challenge To Islam, for reformation. GUNTER LULING, Published by: MOTILAL BANARSIDASS PUBLISHERS PRIVATE LIMITED, DELHI, first edition:2003, Delhi.
- LE CORAN (al-Qor'ân), traduit de l'arabe, par REGIS BLACHÈRE, Professeur à la Sorbonne.G.P. MAISONNEUVE & LAROSE, Editeurs, 1966, PARIS.
- Introduction to The Quran, RICHARD BILL, 1953. printed in Great Britain by R. & R. CLARC Ltd, EDINBURGH,1953.
- Reflections on the relationship of Early Arabic Poetry and the Quran meaning and origin of the Quranic term *tayran ababila* according to Early Arabic Poetry and other sources. pg,156.

الدوريات:

- Arabica 45/3,1998." Les elephants de Qadisiyya." Pg,261-269. Alfred-Louis de Premar

فهرس المحتويات

المقدمة
التمهيد
سبب اختيار الموضوع
إشكالية البحث
فرضية البحث
المنهج المتبع في البحث
المبحث الاول: شبهات المستشرقين حول سورة الفيل والرد عليها
المطلب الأول: التعريف بالسورة
المطلب الثاني:
هل سورة الفيل في شأن قصة أبرهة أم في غيرها كما يدعي بعض
المستشرقين المطلب الثالث : مدلول أصحاب الفيل
المطلب الرابع : هل كلمة "فيل" ذات أصل غير عربي؟
المطلب الخامس : المراد بالكيد و التضليل
المطلب السادس:هل الطير الابابيل حقيقة أم أسطورة كما يدعي بعض
المستشرقين وغيرهم ٢٦
المطلب السابع: أصل كلمة "أبابيل" و المراد بها
المطلب الثامن: معنى قوله تعالى :﴿**تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ**﴾
المطلب التاسع : علاقة قوله تعالى: ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ**﴾ بما قبله
رؤية بعض المستشرقين لتفسير العصف المأكول
المبحث الثاني: شبهات المستشرقين حول سورة قريش والرد عليها

المطلب الأول: التعريف بالسورة
المطلب الثاني : الترتيب النزولي لسورة قريش وشبهة المستشرقين في ذلك
المطلب الثالث: هل الآية الأولى من سورة قريش مخالفة قواعد النحو
المطلب الرابع : هل تم تغيير ترتيب آيات سورة قريش؟
المطلب الخامس : هل حذف من السورة كلام فيه إساءة لقريش كما يزعم "ليو إنكيرشن".
المطلب السادس: المراد بالرب و البيت في سورة قريش في زعم "دو بريمير
الخاتمة
فهرس المصادر والمراجع
فهرس المحتويات